شخصيات مجمعية

أولا - الاستقبال

استقبال الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
عضوًا عاملاً بالمجمع

في الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٠ من مارس(آذار) سنة ١٩٩٧م أقام المجمع حفلاً لاستقبال الأستاذ الدكتور شاكر الفحام عضوًا عاملاً بالمجمع. وهذه هي الكلمات التي أُلقيت في الحفل:

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في استقبال
الأستاذ الدكتور شاكر الفحام *

الأساتذة الزملاء أعضاء المجمع الأجلاء
السيدات والسادة

لقد حظي مجمعنا القاهري بصفوة من أعلام المجمع الدمشقي، كانوا من مؤسسيه ودعائم قراراته، إمامًا بعد إمام، وعالمًا لا يبارى تلو عالم، على مدار الستين في هذا القرن ، وأولهم محمد كرد على، مؤسس مجمع دمشق وحامل لواء النهضة الأدبية في موطنه الذي دفع مجمعه إلى تعريب لغة الدواوين التركية، ودفعه مع أعلام الجامعة السورية إلى تعريب التعليم الجامعي. ومؤلفاته في الأدب والتاريخ والاجتماع مشهورة ، وبالمثل بحوثه المتنوعة الخصبة التي ألقاها في مجمعنا طوال عشرين عامًا أمضاها فيه . ورافقه في تأسيس مجمعي دمشق والقاهرة الأستاذ الجليل عبد القادر المغربي ، الذي ظل يمد مجمعنا في دوراته المتعاقبة ببحوث لغوية وعلمية طوال ربع قرن ، وهي مسجلة جميعًا في مجلة مجمعنا. وتلاهما في مجمعنا إمام كبير كان - بدوره - رئيسا لمجمع دمشق ، ويعد في الطليعة من الكتاب المؤثرين في نهضة سوريا القومية والعلمية ، وكان صوته يُدوي في دورات المجمع القاهري بما يعرض من بحوث في المصطلحات العلمية ، وهي بحوث نفسية تزدان بها مجلة مجمعنا ، وله معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية، يشتمل على نحو عشرة آلاف مصطلح علمي، وله معجم ثان بالإنجليزية والفرنسية ، وكُتب مختلفة في الزراعة وما يتصل بها . ومعجماه وكتبه من المراجع الأساسية للعلماء والدارسين . وحلفه على رياسة مجمع دمشق ،وعضوية مجمعنا طبيب كبير هو الدكتور حسني سبح الذي طالما درس بعناية ما تصنعه لجنة الطبّ من مصطلحات ، وفي كل دورة للمجمع كان صوته يدوي في أرجائه بملاحظاته العلمية القيمة ، وهو من دعاة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الذين عملوا على تأسيسه وإخراجه من حيز الأماني إلى الفعل .

وكان يشاركه في مجمع القاهرة ومجمع دمشق نائبه القانوني الكبير الدكتور

* عقد هذا الاستقبال في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة الثالثة والستين مساء يوم الخميس ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م

عدنان الخطيب ، وله مؤلفات قانونية معروفة ، وكان يحمل إلى دورات مجمعنا سنويا بحوثا لغوية تنم عن نزعته القومية وتعلقه بتوحيد المصطلحات العلمية بين البلاد العربية ، وله بحث لغوي قيم في نقد الطبعة الأولى للمعجم الوسيط، انتفع به مجمعنا في طبعته الثانية . وكان يزامله في مجمعنا عَلَم من أعلام جامعة دمشق هو الأستاذ سعيد الأفغاني في رئيس قسم اللغة العربية بها ، وكان يثري مؤتمرات مجمعنا من حين إلى حين ببحوث لغوية قيمة ، وله كتب ومصنفات بديعة منها: "الإسلام والمرأة"، و"حاضر اللغة العربية في الشام"، سوى تحقيقاته لبعض الكتب، ودراساته عن ابن حزم الأندلسي قراءة أو تفسيرًا وهو ما أداه إليه اجتهاده ، ويتحدث بكلمة عن بشّار بن بُرد وديوانه ورواته، ومن اختاروا من ديوانه وخاصة الخالدَيْن في كتابهما : المختار من شعر بشار،ويستقصي المؤلفين الذين تحدثوا عنه ، ثم يعرض تعليقاته على أبيات الأجزاء الثلاثة من الديوان - والتعليق عنده لا يقتصر على ما رجح عنده أنه الصواب ، بل يضم إليه تحقيقا في الأحداث التاريخية ، كما يضم تحقيقا واسعًا في كل ما يذكر بالديوان من أعلام أي عشائر عربية ، ولا يترك خبرا ولا رواية تساعدان على ما يرجحه من تصويبات إلا ويذكره ، مع موازنات كثيرة بين أبيات بشّار وأشعار السابقين له والتالين . والتعليقات - بذلك - ليست تصحيحات لأبيات بشار مع الرجوع الواسع لمعاجم اللغة فحسب ، بل هي دراسة أدبية وعلمية عميقة تصور ثقافة الدكتور شاكر المتنوعة الواسعة بالشعر العربي وشعرائه وكل ما يتصل بأشعارهم من أخبار ، وهي مثل دقيق لما يتطلبه تحقيق الدواوين من جهد مضاعف وعناء شديد .

والمقال الذي رأيت أن أعرضه - على حضراتكم - للأستاذ الدكتور شاكر محمد الفحام - هو قراءة في كتاب الفهرست لابن النديم ، وهو - كما يقول مؤلفه:"وفهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم بلغة العرب في أصناف العلوم ومصنفيها وأعمارهم وبلدانهم ومناقبهم ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم إلى زمن تأليف الفهرست سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . ولم يعن القدماء بترجمته".مما جعل الأستاذ الدكتور شاكر

يجمع خيوطها من كتابه " الفهرست" وكان أبوه وراقا وعني بتربيته وتعليمه وتخريجه على يديه مما جعله وراقا كبيرا، بل أكبر وراق في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن ، وعضو مراسل في المجمع العلمي الهندي بعليكره في الهند، وعضو مجلس الأمناء لمعهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية .

وهو ركن بارز في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، وحين اتخذ الاتحاد في العام الماضي قرارا بإقامة ندوة لدراسة المصطلحات في معجم علوم الأحياء والزراعة، اقترح الأستاذ الدكتور شاكر محمد الفحام أن تقام الندوة في مجمعه الدمشقي، ووافق الاتحاد ووزع المعجم على المجامع لدراسته ، وألف له الدكتور شاكر لجنة علمية من أعضاء المجمع، وجامعة دمشق وسجلت آراءها في مجلد كبير ، وأقيمت الندوة في الثاني من ديسمبر الماضي ، وحضرها علماء المجامع والهيئات العلمية من الرباط إلى بغداد ، وغمرها الدكتور شاكر والحكومة السورية بضيافة كريمة وحفاوة عظيمة، ونجحت نجاحًا باهرًا،وقررت أن يكون معجم المجمع القاهري في علوم الأحياء والزراعة أساسا لتوحيد المصطلحات في تلك العلوم بالوطن العربي.

أيها السادة :

اليوم ينضم إلى هذه الصفوة من الأعلام الدمشقيين علم مجمعي وجامعي فذ هو الأستاذ الدكتور شاكر محمد الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ويسعدني أن أنوب عن مجمعنا في استقباله، وأنا أهنئه بثقة مجمعنا به عضوًا عاملا حديدا، يقدر مكانته العلمية والأدبية أبناء الضاد في ديارنا العربية .

ومعروف أن شغفه بالدرس والبحث جعله يستكمل دراساته في كليه الآداب بجامعة القاهرة ويسال منها درجة الدكتوراه مع الثناء الجم من أساتذته ، وعاد إلى دمشق وتولى مناصب وزارية متعددة ، وعين سفيرًا لدولته في الجزائر فترة، فرئيسًا لجامعة دمشق، فعضوًا في مجمع اللغة العربية " الدمشقي " فنائبًا لرئيسه ، فرئيسًا له منذ سنة ١٩٩٣م .

ولم تُصرف الأستاذ الدكتور شاكر الفحام مناصبه الكثيرة التي كانت تلقى عليه أعباء جساما عن البحث العلمي والأدبي ، مما جعل مؤلفاته ودراساته وتحقيقاته تكثر كثرة مفرطة ، وأنا ألمُّ بها

إلماما ، فله في التأليف كتب متميزة في مقدمتها : كتابه عن الفرزدق الشاعر الأموي الذي نال به جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي، لتحليلاته البارعة وشعره ورسمه الدقيق لخصائصه الفنية، مع حسن عرضه بأسلوبه الرصين . وتتوالى بحوثه ومقالاته في مجلة مجمع دمشق حتى لتتجاوز عشرين مقالا وبحثا ، وفيها أحاديث عن أعضاء المجمع الدمشقي الراحلين مثل: الأمير مصطفى الشهابي، وحسني سبح، ومحمد كامل عياد، وأحمد راتب السفاح، ومقالات عن عبد العزيز اليمني الراجلوتي، واس سيبا في ذكراه الألفية، والسيوطي في ذكراه المئوية ، ومقال عن المصطلح العلمي في نطاق تعريب التعليم العالي . وتتوالى عشرات المقالات في المجلات العريقة ، منها آراء في تربية الشباب العربي ، ونظرات في المعاجم العربية الحديثة ، وإشكالية المصطلح وضعا وتوحيدا ، والمقدسي الجغرافي ورحلاته . وله تحقيقات كثيرة في مقدمتها كتاب اللامات لابن فارس ، سوى تعريفه بكثير من المصنفات النفيسة وتراجم محققة احتارها من مخطوطات كتب مهمة ، ونقد لبعض الدواوين ، وبحوث تتناول بعض الشعراء المشهورين والمغمورين .

وأعرض - على حضراتكم - عملا واحدًا هو كتابه : "نظرات في ديوان بشار بن بُرد" الذي حقق أجزاءه الثلاثة المنشورة العالم التونسي الجليل محمد الطاهر بن عاشور ، وأعانه الأستادان محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين في مراجعة الجزأين الأول والثاني وطبعهما ، وانفرد الأستاذ محمد شوقي أمين بمراجعة الجزء الثالث وأشرف على طبعه . والكتاب تعليقات وتصحيحات لبعض أبيات الأجزاء الثلاثة وبدأه الأستاذ الدكتور شاكر بكلمات مأثورة وقطوف من أشعار بشّار ومقدمة يقول فيها: "إن صحبته لديوان بشار جعلته يخالف المحقق والمراجعين في قراءتهم وتفسيرهم لبعض الأبيات" . إن الأستاذ شاكر الفحام شخصية علمية مجمعية عريضة متعددة الجوانب في وجوه النشاط اللغوي والأدبي، ومهما قلت فلن أستطيع أن أوفيه حقه ، وأن مجمعنا ليرحب به عضوا عاملا في أسرته المجمعية، سدد الله خطاه وكتب له دوام التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في حفل استقباله
عضوًا عاملاً بالمجمع

أستاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف
رئيس المجمع :
أساتذتي وزملائي أعضاء المجمع الأجلاء:
أيها الحفل الكريم :

سعدت أبلغ السعادة يوم أُعلمت أن مجمع اللغة العربية قد شرفني بانتخـــابي عضـــوا عـــاملا ، وشـــعرت بالرضـــا والاعتزار. وتواردت على مخيلتي صـــور أولئك الرجال العظام الذيـــن شـــيدوا بأعمالهم المجيدة هذا الصرح الشامخ لمجمع الخالدين ، وصاغوا بدراساتهم ومباحثهم ما هيأ للعربية المبينة أن تظـــل مواكبـــة للعصر ، ملبية لحاجات أبنائه ، تـــرف بشبابها الدائم وطاقاتها المتجددة .

ما أجمل سيرة الخالدين! ، وما أجل ما صنعوا!. صانوا العربية وحافظوا علـى سلامتها ، وقعدوا لها لتكون أكثر مرونـة وأقدر على التلاؤم ، وأحيـــوا تـــراث الأحداد فربطوا بـــين حـــاضر الأمـــة وماضيها، وقدموا ما قدموا من دراســات هي الكنـــز الثمين، نثل إليه ونفيد منه ، وكانوا القدوة لخالفيهم ، يكمل لا حق ما بدأه سابق ، والبناء يعلو ويســـمو ، والجنى الطيب يوافى في إبانة لا يتخلـف . ومجمع الخالدين في عطاء دائم ، يلبي مـــا يراد منه ، ويستشف المستقبل فيعد لـــه عدته "كمثل جنة بربوة أصابهـــا وابـــل فآتت أُكُلَها ضعفين" .

رحم الله السلف الصالح الذي شـيد فأعلى . ومد الله في أعمار من خلـف ، يوالون الناء ، ويزيـــدون في العطـــاء ، لتظل العربية المبينة سيدة في دارها ، تسمو وتزدهر وتتسع في الآفاق ، وليبقى مجمـع الخالدين مار هدى ، تعشو إلى ضوئـــه العيون .

إني لأتطلع إلى هذه الثروة النفيســـة التي قدمها الأساتذة الأعلام المجمعيـــون والإعجاب يملأ نفسي . لقـــد تـــاولوا مختلـف قضايـــا العربيـــة ، وعرضـــوا مقترحاتهم البناءة التي تحفـــظ للعربيـــة أصالتها ، وتمنحها الطواعية لتلبي ما يـراد منها . فإذا رُحتَ تستعرض ما تم راعـك ما تطالع من كنوز تجدها منسوقة أنواعا: يتدرج قسم منها في بحوث أصول اللغة ،

وقسم يعالج الألفاظ والأساليب ، وثالث يتناول طرائق التعريب ووضع المصطلحات ، وهناك الدراسات التي تبحث في الأصوات واللهجات مفيدة من معطيات العلوم اللغوية الحديثة .

أما وضع المعاجم فقد بلغ الغاية في التنوع استجابة لمختلف المطالب ، فهناك المعجمات اللغوية : الوجيز والوسيط والكبير ، وهناك معجمات المصطلحات العلمية ، وألفاظ الحضارة والفنون ، وهناك معجم ألفاظ القرآن الكريم .يضم إلى ذلك ما تم تحقيقه ونشره من معجمات التراث المختلفة .

وإننا لنتطلع إلى حلول القرن الحادي والعشرين يملؤنا التفاؤل بأن تحل العربية محلها الأسمى بين اللغات العالمية .

أليس من الحق أن أصف الأساتذة المجمعيين الأجلاء الذين صانوا اللسان العربي المبين ، وهو المقوم الأول من مقومات الأمة،وحافظ وحدتها، والعاصم لها من الشتات ، بأنهم الخالدون حقا ؟. قاموا بأعمال رائعة لا مثيل لها،وسيظلون السدنة المخلصين لهذه اللغة الشريفة ، يحيطونها بعنايتهم لتبلغ مكانتها السامية الجديرة بها. وإنهم بإذن الله لفاعلون .

هأنذا أقف اليوم في رحاب مجمع الخالدين ، يلفني الخشوع والتهيب لجلال الموقف . وأول ما أبدأ به أن أزجي الشكر، كل الشكر إلى أستاذنا الجليل الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع ، وإلى نائب الرئيس الأستاذ الدكتور محمود حافظ ، والأمين العام الأستاذ إبراهيم الترزي . وأتوجه بشكري الخالص إلى أساتذتي وزملائي من أعضاء المجمع الذين أولوني ثقتهم ، وأضفوا عليَّ من جميل رأيهم وكريم فضلهم ثوبا سابغا، فضموني إلى صفهم ، وفسحوا لي مكانا بينهم ، وإني لأرجو أن أكون عند حسن الظن فأفي ببعض ما عليَّ .

وإني لأصفي الشكر أطيبه وأحسنه أستاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع الذي أغدق عليَّ من فضله ونبله ما عظم به صغيري ، وكثر به قليلي . وإن بضاعتي من العلم لمزجاة. ولكنه المعلم المربي أبى الإ كرمًا وسُمُوًّا ليظلني بجناحيه ، ويأخذ بيدي إلى حيث يحب لي ، فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه .

وتقتضي سُنة المجمع وأعرافه التي درج عليها أن أتحدث عن الراحل الخالد سلفي

في هذا المقعد الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

ولد الدكتور الخطيب في سنة ١٩١٤م بدمشق ، ونشأ في أسرة توارثت العلم ، وتلقى علوم اللغة والفقه منذ صباه ، وأحب العربية الحب الجم ، وأكب على دراستها ومطالعة كتبها .

واختار الدكتور الخطيب بعد دراسته الثانوية الالتحاق بكلية الحقوق بجامعة بغداد ، ونال إجازة الحقوق سنة ١٩٤٢م ، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس سنة ١٩٤٧م .

وشهد في أثناء مقامه ببغداد ثورة رشيد عالي الكيلاني على الإنكليز عام ١٩٤١م ، ومما قاله في ذلك:" وما أنسى لا أنسى يوما من أيام عام ١٩٤١م، وقفت فيه في بغداد مع فتيه أعدوا أنفسهم للاشتراك في حرب التحرير العراقية ، نستمع إلى الشاعر الأثري يخاطب العراق بصوت حمله الأثير إلى سمع الملايين في مختلف أرجاء الوطن العربي قائلا من قصيدة طويلة :

غمزوا إباءك فاضطرمت إباء
وحشدت جوك والثرى والماءَ

وختم الشاعر قصيدته قائلا :

يا ساعةَ التحريرِ عُرْسُك قد أتى
إن البشائر لُحْنَ والبشراءَ
وكما نعلم فإن الثورة أخفقت ، وتغلب الإنكليز ، وطورد الثوار الوطنيون، واعتقل الأستاذ محمد بهجة الأثري ثلاث سنوات .

آثر الأستاذ الخطيب بعد عودته إلى دمشق أن يشق طريقه في المجالين اللذين أحبهما وعني بهما : الحقوق والدراسات العربية ، وقد أوتي فيهما نصيبا موفورا .

مارس المحاماة حتى نهاية عام ١٩٤٤م ، ثم انتسب إلى سلك القضاء في عام ١٩٤٥م ، وتقلب في المناصب القضائية المختلفة ، يرقى من منصب إلى منصب حتى كان آخر ما أسند إليه منصب رئيس مجلس الدولة ، فظل فيه خمس سنين (١٩٦٩م - ١٩٧٤م) ليحال بعدها على المعاش (التقاعد) لبلوغه سن الستين .

وخلف في الدراسات القانونية مؤلفات هامة ، انصب جُلها على دراسة القوانين الجزائية وشرحها ، ضمنها عصارة مطالعاته الطويلة ، وخلاصة خبرته التي اكتسبها في حياته الوظيفية،

وفي التدريس في كليتي الشريعة والحقوق بجامعة دمشق ، وفي معهد الدراسات العربية العالي بالقاهرة .

ويأتي على رأس تلك المؤلفات وهي كثيرة : شرح قانون العقوبات – القسم الخاص (جزآن) ، والوجيز في شرح المبادئ العامة في قانون العقوبات (ثلاثة أجزاء) ، والنظرية العامة للجريمة في قانون العقوبات السوري . وكان آخر ما أصدره في هذا الباب كتاب : حقوق الإنسان في الإسلام .

وحر إلى جانب ذلك كثيرا من المقالات النفسية التي نشرها في المجلات ، تناول في طائفة منها مباحث لها شأنها في القانون ، وعرض في أخرى لجملة من الكتب الحقوقية معرفا وناقدا لها. كان الفقيد رحمه الله مثقفا ثقافة قانونية واسعة، مما جعله مرجعا لأصدقائه وقاصديه في كل ما يستعصي عليهم فهمه. وكان لا يصدر رأيا أو يعالج مشكلة حتى يتثبت بالرجوع إلى أمهات المصادر القانونية . وكان متمسكا في مسلكه بمبادئ الشرف والاستقامة ، محافظا على كرامة الوظيفة وهيبتها ، فرفع ذلك من شأنه ، وأعلى من مقامه وقدره زملاؤه وعارفوه حق التقدير ، وأحلوه من نفوسهم المحل الأرفع .

وكانت براعة الأستاذ الحطيب في اللغة والأدب وما يتصل بهما في وزن مقدرته الحقوقية ، لا يطغى جانب منهما على أخيه . لقد تملكه حب العربية منذ النشأة فوفاها حقها من الدرس والبحث، وكان يرى في مجمع اللغة العربية بدمشق حصن العربية الشامخ ، فوثق صلته بأعضائه ، حماة العربية ، الرافعين بناءها السامق . قام بذلك في عهد مبكر من حياته ، في نحو الثلاثين من عمره، فقد ضم ثبت محاضرات المجمع عناوين أربع محاضرات له في مجال القانون ألقاها في سنوات : ١٩٤٣م، ١٩٤٤م، ١٩٤٦م، كما ضمت مجلة المجمع أول مشاركة له على صفحاتها عام ١٩٤٩م ، وكان عنوان مقالته : النهضة العربية في العصر الحديث ، وتلتها عدة مقالات تناولت تعريفا بالكتب ونقدا لها .

وكان الأستاذ الخطيب شديد الإعجاب بالأستاذ محمد كرد علي، رئيس المجمع،يرى فيه مثله الأعلى. وحين أصدر كتابه:لغة القانون في الدول العربية، قال في إهدائه :" إلى الأستاذ الجليل محمد

كرد علي رئيس المجمع العلمي العـــربي ، إجلالا وتقديرًا، وزادته الأيام قربا منـــه وإعجابا به ، فافتن من بعد في الترجمة له وسط سيرته تنويها بمزاياه،وإشارة بمناقبه.

وانضم الأستاذ الخطيب إلى مجمـــع الخالدين بدمشق عضوا عاملا في عـــام ١٩٦٠م (٦/ ١٠/ ١٩٦٠م) ، وأصبـــح المجمع شغله الشاغل ، فأكب على كتـب العربية ينهل من معينها العذب الـزلال ، واتسع ميدان نشاطه ، فكتب في العربية، والكشف عـــن خصائصـــها وعـــرض لإصلاح ما وقع فيه الباحثون من أغلاط، وعني بالتأليف في موضوعات تضيـــف جديدًا أو تنير غامضًا. ومن أبرز مؤلفاته:

كتاب المعجم العربي بـــين المـــاضي والحاضر ، وكتـــاب المعجـــم العـــربي، ونظرات في المعجم الوسيط ، وكتـــاب لغة القانون في الدول العربية .

واستجابة لإعجابه العميق بالشـــيخ طاهر الجزائري أحد رجـــال النهضـــة والإصلاح البارزين في الشـــام ، ألـــف كتابه : الشيخ طاهر الجزائري ، وكشف عن أعمال هذا المصلح الفذ الذي " قضى عمره في السعي إلى الإصلاح والتجـــدد" كما يقول الأستاذ محمد كرد علي .

وللأستاذ الخطيب مقـــالات شـــتى تناولت مباحث لغوية مختلفة، أو عرضت للتعريف بالكتب ونقدها .

وبلغ اعـــتزاز الأســـتاذ الخطيـــب بالمجمعيين وما قاموا به مداه ، فإذا هـــو يقف جزءا صالحا من نشاطه على بســط سير أولئك المجمعيين . ولقـــد نجـــح في تقديم مجموعة طيبة من تراجمهم ، وكان الموفق في تصويرهم بما أوتيه من موهبـــة بالغة ، فإذا هو ينفذ بنظراته الثاقبـــة إلى الصفات والسجايا الأصلية لمن يتحـــدث عنه ، ويسعفه الاطلاع فإذا هو يستقصي أحوال المترجم له وأعمالـــه ، لا يكـــاد يغادر منها شيئا .

ترجم للأعضاء المؤسسين الثمانيـــة ، وترجـــم لكبـــار المجمعيـــين العـــاملين والمراسلين الذين وفاهم الأجل، من أمثال الأمير مصطفى الشـــهاب، والدكتـــور شكري فيصل، والأستاذ عبد الله كنـــون والأستاذ أحمد حسن الزيات، والأســـتاذ ساطع الحصري، والدكتور عمر فَـــرّوخ والدكتور أحمد عبد الســـتار الجـــواري والدكتور صبحي المحمصاني، والأســـتاذ محمد بهجة البيطار ، والشـــاعر بـــدوي الجبل.

ولعل الزمن يسعف في جمع تراجم أولئك المجمعيين الأعلام في سفر أو أسفار، وهي ترسم صورة صادقة لهذه المرحلة المهمة من حياتنا اللغوية والثقافية منذ مطلع القرن العشرين .

لقد أمضى الدكتور الخطيب في رحاب مجمع الخالدين بدمشق خمسا وثلاثين سنة، عمل فيها بدأب ونشاط حتى لبى نداء ربه (يوم الأحد ١٤١٦/٤/٢٩هـ - ١٩٩٥/٩/٢٤م) فكانت الفجيعة فيه كبيرة، رحمه الله الرحمة الواسعة .

وبعد ، فإن من تمام الحديث أن نشير إلى نشاط الفقيد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

لقد كان رحمه الله شديد الحرص على حضور المؤتمر السنوي الذي يعقده مجمع القاهرة . وكان يعد أيامه في القاهرة ربيع عمره ، يلقى زملاءه وأصدقاءه في المجمع ، يجد المتعة والراحة في مجالستهم ومذاكرتهم ، ليعود إلى دمشق وقد ملأ وطابه بذكريات جميلة تكون له خير زاد .

وإنه ليتحدث ، والفرح يغمر قلبه ، عن عام ١٩٧١م ، حديث الرضا والغبطة، إنه العام الذي كان بدء انتظام حضوره إلى مؤتمر المجمع بالقاهرة سنويا دون انقطاع . وقد أخذ نفسه بتسجيل وقائع المؤتمر ابتداء من ذلك التاريخ، (الدورة السابعة والثلاثون).

ولما احتفل مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعيده الذهبي عام ١٩٨٤م سارع الدكتور الخطيب فنشر كتابا بعنوان : العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية (١٩٣٤م - ١٩٨٤م) ضمنه وقائع احتفالات المجمع بعيده الذهبي ، ثم وقائع مؤتمرات المجمع لأربع عشرة دورة مجمعية خلت (الدورة المجمعية السابعة والثلاثون ١٩٧١م - الدورة المجمعية الخمسون ١٩٨٤م) ، وأورد في الفصل الأخير مسردا لمقررات مجمع اللغة العربية في خمسين عاما .

وكان الدكتور الخطيب من شهود الجلسة التي عقدت بمنزل الدكتور طه حسين وبرياسته ، وتم فيها تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية عام ١٩٧١م وانتخب أمينًا عامًّا مساعدًا للاتحاد، فحاز ثقة زملائه ، وظل في منصبه طوال حياته .

وانضم الدكتور الخطيب إلى مجمع الخالدين بالقاهرة ، وكان أحد الأعضاء

العاملين الثمانية الذين استقبلهم المجمع في العاشر من مارس (آذار) عـام ١٩٨٦م في أثناء انعقاد مؤتمره السنوي في دورتـه الثانية والخمسين . وتوثقت صلة الأستاذ الخطيب بالمجمع، وكان يلزم نفسـه أن يقدم بحثا في المؤتمر . وقد وقـع عليـه الاختيار غير مرة ليلقى كلمـة الوفـود المشاركة . وعلى صفحات مجلة المجمـع بالقاهرة تطالعك عدة بحوث له .

ولقد أمضى الدكتور الخطيـب في كنف مجمع الخالدين بالقـاهرة تسـع سنوات ونيفا ، كانت حافلـة بـالعمل والنشاط . وخلف في نفوس زملائه وأصدقائه وعارفيه ذكريات تنفح طيبـا وتضوع أريجا .

خير ما أختم به كلمتي أن أجـدد شكري لأستاذي الجليل الدكتور شـوقي ضيف رئيـس المجمـع ، ولأسـاتذتي وزملائي أعضاء المجمع الذيـن آثـروني بزمالتهم وأحلوني بسـاحتهم ، أعمـل بجانبهم لأعلاء شأن العربية . ونسأل الله العلي القدير أن يحفـظ هـذا الصـرح الشامخ الذي شيده المجمعيون الخـالدون ليمضي في طريقه الصاعدة في صحبـة العربية المبينة تتلألأ بإشراقها وألقها .

شاكر الفحام

عضو المجمع من سورية

ثانياً - التأبين

أولاً ـ تأبين المرحوم الأستاذ محمد بهجة الأثري

عضو المجمع من العراق

في الساعة الواحدة ظهر يوم الأحد ١٤ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٣ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م ، أقام المجمع حفلاً لتأبين المرحوم الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو المجمع من العراق.

وهذه هي الكلمات التي ألقيت في الحفل:

كلمة الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين في تأبين المرحوم
الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو المجمع الراحل
آخر رواد تحقيق التراث

هذه أول مرة في حياتي أكتب في التأبين ، لأنه موقف يثير في النفس شجونا وآلاما تهز النفس وتحرك المواجع الدفينة ... التي نتجلد في كتمانها وهي تغلي كالمرجل في القلب ، ونخفيها، وهي تتوقد كالأتون في الحنايا، وتُذكي الذكريات، وتُوقظها في دياجير نومها، لكنها تنساب بهدوء، وتعيد أيامنا الماضية مع الصفوة الممتازة من الرواد العمالقة، الذين تركوا الفانية إلى دار الخلود، وإلى رحمة الله تعالى . إنه موقف الحزن الكئيب ، والأسى المحض ، فيه عِبرة وعَبرة . أين زملاؤنا الذين كانوا شذى تعبق فيهم جنبات المجمع، وكان الحب يرفرف بجناحيه علينا، ورفيف الود يتدفق من قلوبهم فيسعدنا لطفهم وتسرنا بشاشتهم، وتفرحنا رقة حديثهم، وفيض علمهم، ودفق ذكائهم، ولمح أذهانهم ؟

ففي كل حنية من حنايا القاهرة،وفي كل منعطف من منعطفاتها، كان لنا أحباب يملأون فراغ الروح وحرمان النفس بالدعوات والزيارات . عندما تسعدني القاهرة وتضمني إلى صدرها الحنون . الراحلون الكرام نُذُر الموت لنا. ليس في الكون حقيقة غير الموت !

لا أدري على من أبكي؟ولمن أرثي ؟ ولكني أنوح حزنا، وأجهش حسرة وأذوب لوعة !

أأبكي على نفسي ؟ أم أبكي على الأساتذة الكرام ؟ أم على الإنسان الذي لا يحس بالقدر المحتوم ؟ أم أبكي على البشرية التي لا تعتبر ؟ أم على الإنسانية التي لا تتعظ ؟!

رحم الله الأثري، فقد أثار تأبينه في نفسي مواجع الذكريات وعميق الآلام ، وحسرات الحزن والأسى والشجون النائمة نومًا عميقا في شغاف القلب وسويداء النفس، فجدد الألم وأيقظ الحسرة .

احترت كيف أبدأ في التأبين؟وكيف أذكر أعماله وقد عاش أكثر من تسعين سنة ؟ منها سبعون ، أو ثمانون كما قال عن نفسه ، في الإنتاج العلمي والبحث والتتبع في حقول التعليم والتوجيه

التربوي، والعمل في الجمعيات الدينيـــة ومشاركاته الكثيرة في الصحف والمجلات، ومساهماته في الشعر الأصيـــل والفكـــر الملتزم .. ومع كل هذا العمر الطويـــل والإنتاج المستمر المتعدد الجوانب لم تُولـه وسائل الإعلام والنقاد ودارسو الأدب ما يستحق من اهتمام؛ و لم يُكتب عنه مـــا يوازي إنتاجه إلا بعد أن تجاوز التســعين ... فلم يُكتب عنه إلا صفحات قليلـة في كتب تُعد على الأصابع ، ولعلي أول من اعتنى به عندما أصدرت كتابي (شـــعراء العراق في القرن العشرين) سنة ١٩٦٩م فقدم لي ترجمة حياته، واخترت نماذج من ديوانه المخطوط .

من هو الأثري ؟

محمد بهجة بن محمود بـــن الحـــاج عبد القادر بن الحاج أحمد بن محمد أغا . أصله من ديار بكر. هاجر جده الأعلـــى إلى أربيل، ثم انتقل إلى بغداد وأصبح مـن تجارها المعروفين، وتزوج الحاج أحمد من أسرة بغدادية من قيس .. وامتد نفـــوذ الأسرة التجـــاري إلى الهنـــد في تجـــارة الخيل.(١)

وقد عاش والده منغص العيـــش، و لم يعسر،ولما توفيت زوجته الشابة تركت له خمسة بنين صغاراً،كان الأثري هو الأكبر ومات ثلاثة من أبنائه فحزن عليهم حزنًا شديدًا حتى أصيب بالفالج، وبقي ســنتين طريح الفراش، محبوس اللسان،وتوفى سنة ١٩٣٠م وهو في السابعة والخمسين (٢) فأثر موته في الأثري تأثيرًا كبيرا فنظـــم قصيدة منها :

يا بنفـــسي أبي الكريم وروحي
ليـــت أنّا كـــا على ميـــعاد
أتُراني أذوقُ بعـــــدك طعمًا
لحيـــــاتي ، وأنت عني غادي
يبتعي لي الرفاق سلوى، وسلوا
ي ضريح في جنب قبرك بادي

وأمه زينب تركيه الأصل من كركـــوك. وكانت شديدة الحب لابنها البكر، ومنها أخذ التركية . ولما ماتت تزوج والـــده وحلف من زوجه الثانية أربع بنات حمـل الأثري أعباء تربيتهن .. وتعليمهن .

لماذا سُمي بالأثري ؟

يقول الدكتور عبد العزيز البسام مـا ملخصه بأن الأثري كان يدرس علـــى أستاذه علي علاء الدين الألوسي (مراقي الفلاح)، فاعترض على شارح الكتـــاب و لم يعجبه الشرح، ورفضه ورجـــاه أن يعفيه من قراءة هذا الكتاب وشـــرحه،

(١) لقاء الأثري مع الدكتور محمود المشهداني في محمد بهجة الأثري ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٢) المصدر السابق

فقال له: ما تريد أن تقرأ؟ قال: أريـد أن أتعرف على الفقه الإسلامي الحقيقـي ، فقال له أستاذه:فأنت أثري إذن.فسأله ما تعني هذه الكلمة؟قال له:الأثري هو الذي يتبع أثر الرسول عليه الصلاة والسـلام قولاً،وفعلاً.وراقته الكلمة وتسمى بها.(١)

ثقافته ودراسته :

تعلم قراءة القرآن الكريم والكتابة في كتاتيب حيه في الرُّصافة،وأتم قراءة القرآن وهو في السادسة، ثم درس في مدرسـة البارودية الابتدائية،وكانت ثلاث سنوات وتعلم الفرنسية بصورة خاصة، ولكـن اللغة التركية بقيت مصاحبة له ،ولم أسمعه مرة واحدة يذكرها أو يتحدث بها، ودرس في الرشدية العسكرية، وتركها لمرض ألَم به ثم دخل المدرسة السلطانية حتى احتـل الإنكليز بغداد ١٩١٧م فأغلقوا المـدارس فدخل مدرسة الأليانس اليهودية حـتى لا يبقى بدون دراسة،ولأنها الوحيدة الـتي سمح الإنكليز بفتحها ومعه سبعة عشـر طالبًا،اختلفوا مع الطلاب اليهود فتركوها بعد اعتداء اليهود عليهم(٢)

الصُّدفة المفيدة :

ومن الصُّدف المفيدة أن والده طلب منه قراءة جريدة عربية وهو في السـابعة عشرة من عمره فلم يحسن قراءتهـا. (٣) وكانت بداية تحول في حياة الأثـري، إذ وجهه إلى دراسة اللغة العربية فدرسـها على الشيخ محمود بن علي، نحوا وصرفـا وفقها. ثم درس على الشيخ عبد المحسـن الطائي المدرس في النعمانية،ولكن التحول المهم كان دراسته على الشيخ علي عـلاء الدين الألوسي. (٤) وكانت هذه الفـترة بداية التحول الذي نقله من اللغة التركية إلى اللغة العربية والعلوم الإسلامية، فقـد استعذب اللغة وتذوقها، والتذ بحـلاوة جرسها،وحلو ألفاظها، وطلاوة كلماتها، وسحر بيانها، وجميل بلاغتها. (٥) وكان للأستاذ الألوسي أعمق الأثـر في هـذا الاتجاه عندما بدأ يـدرس عليـه الأدب العربي، مع النحـو والصـرف والفقـه والحديث الشريف ، فقـد درس عليـه مقامات الألوسي ، ورحلتـه غرائـب الاغتراب، وهي رحلة أبي الثناء الألوسي

(١) العبارة : إذا عجن الحنفي عجينا وتبين له بعدُ أن ماءه كان نجسا فإما يبيعه لشافعي (لأن نجاسة الماء عند الشافعي غير شرطه في فقه أبي حنيفة) أو أن يطرحه لكلب لاحظ ص ٤٤ و ٢٢٣ و ٢٧٥ محمد بهجة الأثري .

(٢) شعراء العراق في القرن العشرين ص ١٥١ ومحمد بهجة الأثري ٢٨٢ .

(٣) محمد بهجة الأثري ص ٢٨٢ و ٢٨٣ . (٤) المصدر السابق ص٣٤ .

(٥) كان علي علاء الدين شاعرًا وأديبًا ، وكان عضوًا في مجلس النواب العثماني (المعوثان) ثم قاضيًا بعد الاحتلال البريطاني، وكان رئيس المدرسين بمدرسة جامع مرجان .

إلى الأستانة، كتبها بأسلوب جميل وسجع لطيف، وكان يصف كل يوم طلوع الشمس بوصف لا يكرره في الأيام التالية.

فتح الشيخ قريحته فنظم فيه أول قرزمته الشعرية . وقد درس عليه ستة أشهر، بقي يذكرها بالإعجاب والتقدير لأنها أثرت في حياته تأثيرًا واضحًا، ثم أصيب أستاذه بالفالج وتوفي سنة ١٣٢٠هـ .

الأثر الكبير :

ويظهر أثر العالم الكبير الأستاذ محمود شكري الألوسي في ثقافته وتعليمه فقد لازمه هذا الأثر طوال حياته، وقد كان الأولسي من أعلام عصره فدرس عليه أكثر العلوم العربية، كالنحو والصرف والبيان والبديع والعروض والفرائض والحديث والتاريخ وأدب البحث والمناظرة، كما تعلم عليه تحقيق المخطوطات، فقد كان ينسخ له بعض الكتب ويهديها أستاذه لأعلام العصر، فقد نسخ له كتاب الخيل لأبي عبيدة فأرسله إلى أحمد زكي باشا، ومن كتب أستاذه التي درسها عليه وحققها (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر)، وطلب منه نسخ (مثالب العرب) للكلبي، والرد عليه . فكانت أسسه في التحقيق قوية حتى غلب التحقيق على التأليف، وقد كان الألوسي مصابًا في المثانة، واستفحل فيه المرض، وتوفي سنة ١٣١٤هـ فرثاه بقصيدة منها :

ما أنس لا أنسى أيامًا بصحبته
حَلَت فمرت وساءت بعد أحوالا
صحبت شكري من الأعوام أربعة
حتى بلغت به في العلم آمالا
لولاه لولاه لم أدرك بلوغ منى
والبدر لولا ضياء الشمس مالالا
إني لأبكيه ما ناحت مرزأة
ثكلى ترن مدى الأيام أعوالا

وكانت هذه التلمذة سبيلا لتعارف الأثري على أصدقاء الألوسي ومحبيه في الأقطار العربية، فقد لازمت شهرة الألوسي الأستاذ الأثري، وأخلص له كل الإخلاص، فقد عُين بعد موت أستاذه عضوًا مراسلاً في مجمع دمشق، واستمر في تحقيق كتب أستاذه ولما مات وجدوا بعض هذه الكتب المحققة، لم تطبع مثل (العقد الثمين في مباحث التضمين) وشرح أرجوزة الألوان. وحقق (المسك

الأذفر) . وهو كتاب تراجم علماء القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

وبعد موت محمود شكري الألوسي استقل بنفسه واعتمد على ما تعلم من العلم، ودخل الحياة العملية في التدريس والوظائف، وقد لخّص الدكتور البسام مؤهلات الأثري بقوله :

"كانت له ثروة علمية وأدبية وافرة في علوم العربية وآدابها، وفي العلوم الإسلامية، تفوق المعهود فيمن يتصدر للتدريس في المدارس الثانوية، وتجلوز إلى إمكان الاضطلاع بمثل هذه المهمات في التعليم العالي" (١) .

وظائفه وأعماله الإدارية :

بدأ حياته العلمية سنة ١٩٢٤م مدرسًا في مدرسة التفيض الأهلية، ثم عمل في وزارة المعارف سنة ١٩٢٦م في الثانوية في بغداد لتدريس اللغة العربية وكانت الثانوية الوحيدة في العراق، إذ إن التعليم في العهد العثماني كان محدودًا بالمدارس الدينية التي في المساجد والجوامع مع بعض الكتاتيب لتدريس الطلاب .

ولما احتل الإنكليز العراق لم تكن في جميع أنحاء العراق غير (١٠٣) مدارس من ضمنها الكتاتيب والمدارس الأهلية ومدرستان واحدة للحقوق والأخرى السلطانية،ولم يكن يتجاوز عدد الطلاب في جميع أنحاء العراق(٢) ٨١٠١٣ طالبًا. ثم عين مديرًا لأوقاف منطقة بغداد سنة ١٩٣٦م ثم عين مفتشًا اختصاصيًا في وزارة المعارف سنة ١٩٣٧م وشارك في سنة ١٩٤١م في حركة رشيد عالي الكيلاني بقصيدة واعتقل بعدها .. (٣) . وبقي في التعليم حتى عينه ياسين الهاشمي في الأوقاف بعد أن أوفده مع بعثة كبيرة ضمت عددًا من النواب والطلاب لتوثيق الصلات بين العراق ومصر، وأوكل إليه مهمة دراسة سير الأوقاف والمدارس الدينية المصرية، وبخاصة الأزهر الشريف ومعاهده. وقد سافر هذا الوفد إلى مصر وفسلطين ولبنان وسورية يحلم بهدف بعيد الطموح كان يريد الهاشمي تحقيقه هو الوحدة العربية .. وكتب الأثري تقريرًا مفصلاً عن هذه الزيارة، وذكر مقابلته لشيخ الأزهر مصطفى المراغي وأنه رحب به ولقي منه الترحيب والتقدير. وإن الصحف ذكرت مقابلاته وأعماله . (٤)

---

(١) محمد بهجة الأثري ص ٦٣ – ٦٤ .

(٢) الحركة الفكرية في العراق ص ١٦ و ١٧ .

(٣) شعراء العراق في القرن العشرين .

(٤) محمد بهجة الأثري ص ٣٠٦ .

لكن أعداء الفكر العربي في العـــراق من غير العرب خافوا من طموح الهاشمي والوحدة التي قد لا يجدون لهم مكانـــا فيها، فتم التآمر عليه بانقلاب قادة بكـــر صدقي في سنة ١٩٣٦م وأخرج الهـاشمي من الوزارة ، إلى دمشق ومات كمـــدًا، ولم يسمح بدفنه في العراق، فدفـــن إلى جوار صلاح الدين الأيـــوبي .. وكـــان الأثري في دمشق فعاد بعد قتـــل قـــائد الانقلاب فعين في وزارة المعـــارف . وفي سنة ١٩٤١م اعتقل لأنه شارك بقصيـــدة ألقاها من الإذاعة منها :

غمزوا إباءك فاضطرمت إباءَ
وحشدت جون والثرى والماء
راموك للذل المقيم وقد مضى
دهر تسام به الشعوب سباءَ

ويقي في المعتقل ثلاث سنوات، ولما أفرج عنه مع من أفرج عنهم من الشعراء والساسة والأدباء بقي يعيش على راتبـــه التقاعدي وموارده المالية الخاصة حـــتى ١٩٤٧م فألفت لجنة التـــأليف والنشـــر والترجمة التي حولت إلى المجمع العلمـــي العراقي في السنة نفسها، فدخل المجمع مع الأعضاء الآخرين، وكان عددهم عشـــرة أعضاء ، وفي وزارة السيد محمد الصـــدر أعادت هذه الوزارة كـــل المفصولـــين وأنصفتهم، فأعيد إلى المعارف مع ترقيتـــه درجتين في التفتيش الاختصاصي الـــذي بقي فيه عشرين سنة . والحق أنه كـــان موجـــها تربويًـــا، ولم يكـــن مفتشًـــا اختصاصيًا. فما جرح إحساس مـــدرس، ولا آذى أحدا. إنما كان يعين المدرســـين ويناقشهم على انفراد. فقد ذكر الدكتور أحمد مطلـــوب أنـــه كـــان في ثانويـــة كركوك، ولما قابله بعد الدرس قال لـــه: إنه تألم لإبعاده عن بغداد وإرســـاله إلى كركوك، وسأله إن كان يحب العودة إلى بغداد فرد عليه بالإيجاب وبالفعل نقله إلى بغداد .

وقد أسهم في التدريـــس في كليـــة الشرطة ودار المعلمين العالية وبعـــد ١٤ تموز عُيِّن مديرًا عامًا للأوقـــاف في ٢١ تموز، مرتبطا برئيس الوزراء عبد الكـــريم قاسم، ولما قضي على الزعيم أحمد طبقه التقاعد في ١٩٦٣/٢/١٠م .

وجاءت حكومة عبد السلام عارف وكان رئيس الوزارة أحمد حسن بكـــر فشنت حربًا على كل من تعاون مع عبد الكريم قاسم، وكان هو عضوًا في المجمع، وكنت أمينًا له، وشاءت الظـــروف أن

يموت رئيس المجمع الدكتور ناجي الأصيل في الأيام الأولى، وكانت الدولة تريد الإصلاحات في كل نواحي الحياة العامة فاغتنمت هذه الفرصة، ووضعت قانونا جديدا للمجمع عوضًا عن النظام الذي أصدرته وزارة المعارف سنة ١٩٤٧م وسع فيه صلاحيات المجمع وأعطاه القانون الجديد شخصية حكيمة مستقلة، وزاد عدد الأعضاء إلى عشرين وأصبح المجمع متصلاً برئيس الوزراء بعد أن كان تابعا لوزير المعارف، ولما اختير الأعضاء لم يدخل اسمه معهم، لأنه كان قد تعاون مع الحكومة السابقة وبذلك تدخلت السياسة في صلب العمل العلمي وفرضت رأيها .

الحزن في حياته :

الحوادث والآلام تقوي صلب الرجال، وتبني إرادتهم على قاعدة متينة من الثبات والقوة عندما تتحول إلى اللاشعور الإنساني، وتتراكم في الوجدان الداخلي .. وتؤثر في سلوك الإنسان القوي فيصبح جادا في عمله حساسًا في تصرفاته، وقد أثرت في الأثري الفواجع فقد ماتت أمه ثم أبوه وإخوته، ومات أستاذه علي علاء الدين بعد ستة أشهر من الدراسة عليه، واتصل بمحمود شكري وكان مريضًا، ونقل من عمله في الأوقاف. فتأثرت الآلام في روحه الحساسة وآذته الحوادث من بداية عمره، المراهقة التي تركت آثارها طوال حياته، فأصبح حادا شديد الحساسية، يغضب إذا شعر بكلمة تمس مشاعره وكرامته ولو كانت عفو الخاطر وبحسن نية . وقد قال عنه محمود المعروف وهو من أوائل من كتب عنه سنة ١٩٤٧م(١) :

" لقد رأيته مرة والشرر يقدح من عينيه والعرق يتصبب من جبينه ، وهو ينتفض كما ينتفض السبع ريع عرينه فهب يحميه، وإذا هو في منعة العزة والإباء وقد ثار لأن أحد كبار موظفي الدولة حاول أن يمس كرامته في تكليفه كتابة موضوع معين غفل من التوقيع"(٢)

وعمل الأثري مدرسًا ومديرًا للأوقاف ومفتشًا اختصاصيًا، فكانت له دائما الكلمة الأولى، فخلق عمله فيه اعتدادًا بالنفس وتمسكًا بالرأي .

الرجل الموثق :

كان الأثري شديد العناية بما كتب عنه حتى وإن كانت سفرة إلى البصرة

(١) محمد بهجة الأثري ص ٣٠١ عن مجلة السهول العراقية ٢٥ شباط ١٩٤٧م .

(٢) محمد بهجة الأثري ١٥١ و ٣٠٣ .

أو الإشراف على طبع كتبه المدرسية في دمشق، ويذكر الدعوات التي لباها، والتي اعتذر عنها أو رفضها، ويحتفظ بالجرائد والمجلات التي تذكره، وهذا التوثيق ساعد الذين كتبوا عنه وكان يقرأ ما كتب عنه قبل النشر، ويدخل على البحث ما يلائمه ويحذف ما لا يراه مناسبًا، فقد قال الدكتور أحمد مطلوب في الدراسة التي قدمها في حفل تكريمه بأنه قرأ البحث وأضاف إليه تعليقات ذكرها الدكتور أحمد مطلوب في الدراسة (١) .

وهو الذي كتب لي ترجمة حياته ونشرتها في كتابي (شعراء العراق في القرن العشرين)، وذكر لي بأنه من مواليد سنة ١٩٠٤م لأنه كان في العمل ولكنه لما تقاعد زاد سنتين على عمره، ومن الوثائق التي احتفظ بها ما سحله الدكتور عدنان الخطيب في ذكرياته، بأنه تمكن من دعوة الأستاذ الأثري لحضور الاحتفال بأحمد شوقي، وأنه قابله وقال إنه لفت بأدبه وروايته قلب أمير الشعراء، فقربه منه وجعله موضع رعايته، مما ترك أعظم الأثر في نفسه، وكان من أثر هذا اللقاء أن رثاه سنة ١٩٣٢م بعد موته وقال :

ألا ، لست أنسى منك مجلس حكمة
على بردى قد مرّ مذ سنوات
خيالا كلذات السرور على الهوى
وخفقا كلمح الثغر والوجنات
أخذت هوى نفسي ببشرك طافحا
وآنستني باللطف والبسمات (٢)

وذكر في وثائقه الأماكن التي سافر إليها، ومن حضر في المؤتمرات، وبخاصة الأسماء الكبيرة والأقطار العربية التي مثلوها، ويذكر ألقابهم ووظائفهم وأعمالهم، ومن دعاه منهم، والمكان الذي ألقى فيها قصيدته، وأنه ألقى قصيدته في المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٣١م تحت قبة المسجد الأقصى في ١٧ رجب ١٣٥٠هـ وأنه كان أصغر الأعضاء سنًّا وتناقلت الصحف القصيدة ومطلعها :

لمن الوفود تسيل سيل الوادي
مُليءَ الحمى منها وغص النادي

ولولا وثائقه ما قدر باحث على الحصول على جرائد ومجلات الوطن العربي التي مضى عليها ستون سنة ذكرها الدكتور المشهداني في بحثه-بله - الجرائد والمجلات العراقية الصادرة سنة ١٩٣٤م-١٩٣٦م.

وكان يؤرخ لكل انتداب ويصفه، فقد ذكر حفل حصوله على جائزة الملك

---

(١) محمد مهدي الأثري ١٥١ و ٣٠١ .

(٢) المصدر نفسه ٣٠٣

فيصل سنة ١٩٨٦م بأن الحفل كان فخمًا رأسه سمو ولي العهد، وقد أنشد فيها قصيدة حارة العواطف استبدت بإعجاب السامعين من عِلْية القوم والأدباء ورجال الصحافة (١) .

وقد كنت أتمنى أن يذكر مؤرخو حياته الجو العام الذي كان يعيش فيه في تقلبات الحياة، فقد عاش في الدولة العثمانية والدولة العراقية وأحدث العراق، منذ الملك فيصل الأول وابنه غازي والوصي على العرش و (١٤ تموز) وحكم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف وأحمد حسن البكر والوقت الحاضر . فلم يذكر مؤرخو حياته لماذا أرسل الهاشمي الوفد إلى البلاد العربية؟، وما عمل هذا الوفد الضخم؟ ومن هم هؤلاء الأعلام الذين سافروا معه؟ وما الطموحات العربية للهاشمي؟ وتقلب الأحداث في العراق لأن الأثري كان جزءًا لا يمكن بتره واستلاله من البيئة الفكرية والسياسية والاقتصادية كما صنع الذين كتبوا عنه .

مطبوعاته :

من تتبع المطبوعات التي ظهرت باسمه، يظهر لنا بأن الأثري كان محققًا أكثر منه مؤلفا، فقد حقق كتب أستاذه التي درسها عليه مثل (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) ثلاثة أجزاء. و(تاريخ نجد)،و(تاريخ مساجد بغداد)، وهو أول كتاب حققه وأضاف إليه و(الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) و (الماء وما ورد عن شربه) و (النحت وبيان حقيقته)، وثلاثة كتب لم تطبع .

كما حقق كتبًا أخرى منها (أدب الكاتب)للصولي،و(جريدة القصر وجريدة العصر)لعماد الدين الأصفهاني، و(منلقب بغداد)لابن الجوزي،وكتاب (النغم) ليحيى المنجم،و(صورة الأرض) للادريسي، وهي خارطة الشريف الإدريسي .

الكتب المدرسية :

وقد انصرف إلى ناحية تربوية مهمة هي تأليف الكتب المدرسية، فقد غطى بمؤلفاته التعليم الابتدائي منفردًا بأكثرها ، بداية من الصف الثالث الابتدائي إلى الصف السادس، ومرحلة المتوسط، وإعداد المعلمين . أو مشاركًا بعض المختصين في التربية، وجميعها في اللغة العربية، قراءة وتاريخ أدب .

التأليف :

ألّف عددا من الكتب منها : (أعلام

(١) محمد بهجة الأثري ص ٢٩٤ و ٢٩٥ ، ينظر الهامش ص ٣١٨ .

العراق) وهو أول كتاب له عن الأسرة الألوسية وعلاقته بها، لاسيما أساتذته منهم سنة ١٩٢٦م، و (محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية) و (محمد عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد) في العصر الحديث. وجمع مقالات كتبها سنة ١٩٣٠م في جريدة البلاد في الرد على الأستاذ أحمد حسن الزيات عن (مأساة الشاعر وضاح)، وعلاقته بأم البنين طبعت سنة ١٩٣٥م وكتاب عبد المحسن الكاظمي، ألقاه في معهد الدراسات والبحوث العربية. ولا أدري لِمَ لم يطبع؟ مع أن المعهد يطبع المحاضرات بعد إلقائها مباشرة. فقد طبع لي ستة كتب بعد إلقائها محاضرات فيه .

الترجمة :

ترجم مع الأستاذ عزيز سامي من التركية (الخطاط البغدادي علي ابن هلال) المعروف بابن البواب تأليف الكاتب التركي سهيل أنور. وله عليه تعليقات وتحقيقات طبعت بعد ذلك .

المخطوطات :

وله عدد من المخطوطات التي لم تطبع منها: ثلاثة كتب لأستاذة محمود شكري الألوسي، و (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) بلغت ثلاثة عشر كتابا. وبذلك فالأستاذ الأثري محقق أكثر منه مؤلفًا .

كما أسهم في كتابة المقالات في الجرائد والمجلات التي تعني بالقضايا الدينية بالدرجة الأولى. ونشرت في العراق وخارجه .

كيف عرفته ؟:

كنت درست كتابه (المدخل إلى الأدب العربي) وأنا طالب في المتوسطة فأعجبت بأسلوبه وجمال عبارته فاحتفظت بالكتاب. وجاءني مفتشًا اختصاصيًا وأنا أدرس اللغة العربية في دار المعلمين (بعقوبة) فوجدته رجلاً يحترم المدرسين، ويقدر العاملين. ثم لما حضرت للماجستير أهداني كتابه (أعلام العراق) وهو خاص بالأسرة الألوسية. وفيه ثناء وإعجاب بمن درسّه منهم، وذكرياته معهم فكنت أذكره في كل مناسبة أدبية وفكرية. وقلما يخلو كتاب من كتبي من اسمه. وكان اسمه يتردد في الجرائد والمجلات التي كنت أعود إليها. فقد أسهم في الحركة الفكرية الأدبية في ما بين ١٩٢٠م - ١٩٣٠م وكان الأدب في العراق يتأثر بالأدب في مصر. ويقرأ

الأدباء الجرائد والمجلات التي تردهم منها، وكانت حركة الديوان قد أثرت في الجو الأدبي في العراق، وورد ذكر المازني وشكري والعقاد في الصحف والمجلات. وقد انقسم الأدب إلى مؤيد ومحافظ ومحايد ، ولما نشر قاسم أمين كتابه (تحرير المرأة) كان صداه في العراق واضحا فانتصر بعضهم للسفور وبعضهم للحجاب وساقوا الحجج والبراهين، وجرت معارك قلمية في الصحف، وكان من المؤيدين للسفور جميل صدقي الزهاوي، ومعروف الرصافي .. وقد هاجم الأثري الرصافي بعنف وشدة بمقال، لأن الرصافي نظم عدة قصائد في هذا الصدد ومنها قصيدة عينية يدعو فيها إلى إنصاف المرأة، وإلى سفورها لأنها إنسان رقيق جميل ومن القصيدة قوله :

وأكبر ما أشكو من القوم أنهم
يعدون تشديد الحجاب من الشرع
أني الشرع إعدام الحمامة ريشها
وإسكاتها فوق الغصون عن السجع
وقد أطلق الخلاق منها جناحها
وعلمها كيف الوقوع على الزرع

ويظهر لي أن الرصافي أثار الأثري في المقطع التالي :

يقولون لي إن النساء نواقص
ويدلون فيما هم يقولون بالسجع
فأنكرت ما قالوه والعقل شاهدي
وما أنا في إنكار ذلك بالبدع
والله ما إن ضقت ذرعًا بقولهم
ولكنما قد ضاق في قولهم ذرعي
أفرق دعواهم إذا ما طعنتها
ولو أنها كانت من الدين في درع

فقال عنه أنه طالب خلاعة، وأنه جاهل، ثم رماه بالكفر والضلال والمروق ، والطريف أن ينشر الرصافي رده في جريدته (الأمل). ورد عليه بلطف وعلل هذا القول باندفاع الشباب وحماسته. وبالفعل نظم الأثري بعدها قصيدتين في تأييد حق المرأة، وهاجم في إحداها الإنسان الذي يسوَد وجهه إذا قيل له جاءته أنثى قال :

عجبت للمرء وكم
داعية للعجب
إن بشروه بابنة
يبت صريح الغضب (١)

واستفدت منه لأنه يحتفظ بقصائد ووثائق متعددة لم أرها عند غيره، فعندما أردت أن أكتب عن بوادر الفكرة العربية والقومية في القرن التاسع عشر احتجت

(١) الشعر العراقي الحديث . لاحظ موضوع السفور والحجاب .

لبعض النصوص فزودني قصيدتين لرائد في هذه الدعوة من آل الشاوي (١)

شعره :

يمتاز شعره بالجزالة وقوة الأسلوب ووضوح المعاني وسموها الخلقي والالتزام بالمثل الإسلامية . نابع من جذور الثقافة العربية متمسك بعمود الشعر بكل حدوده الفنية، و لم تؤثر فيه التيارات المعاصرة فنجد في شعره أثر العصر الأموي بوضوح مع نفحات من جو الشاعر أحمد شوقي ، النفي وأسلوبه الشعري ، ونظم في موضوعات متعددة جديدة، فقد قال في القمر الصناعي قصيدة سماها "معجزة العلم" خاطب فيها العلم .

واليت في البدء الأعاجيب الكبر

فكيف لو جاوزت أطوار الصغْر

فكن على الخَلق سلامًا وندى

ولا تكن شرًا ولا آلة شرّ

يا فالق الذرة باقتداره .

ووردها منك بإذن والصَّدرْ

يا عِلم لو جازك غير طامع

لكنت كالرحمة رفقا وأبرّ(٢)

وبقى أثر شوقي في شعره حتى آخر حياته، لأنه كان معجبًا أشد الإعجاب فيه. ففي قصيدته التي نظمها يشكر الحاضرين على الاحتفال الذي أقامه له المجمع قال :

بنا من العشق للعلياء والقيمِ

ما بالشمائل من صفو ومن كرمِ

إنه جو قصيدة شوقي :

ريم على القاع بين البان والعَلم

أحلّ سفك دمي في الأشهر الحُرم

وفي قصيدته :

غمزوا إباك فاضطرمت إباءَ

وحشدت جوك والثرى والماءَ

نجد الجو الفني والأدبي والحكم والموعظة واضحة ومتأثرة بقصيدة شوقي في رثاء عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواءَ

يستنهض الوادي صباح مساءَ

وبقي على جزالة الشعر وقوة النسج ومتانة العبارة واستعمال الكلمات التي تحتاج إلى شرح بالنسبة للجيل المعاصر لصعوبة الفهم و لم يخرج عن عمود الشعر إلا في قصائد محدودة كانت أقرب إلى

---

(١) الأسرة البغدادية العريقة وهي حميرية من العبيد لها مواقف معروفة في التاريخ في العهد العثماني التي دافعت عن بغداد لما حاصرها نادرشاه سنة ١٧٢٢م وثار سليماد الشاوي أيام المماليك في العراق لتأسيس دولة عربية وبرز منهم شعراء تغنوا بالعروبة والقومية منهم عبد الحميد الشاوي .

(٢) شعراء العراق في القرن العشرين ، فيه فصل كامل عن الأستاد الأثري .

الموشحات؛ لأنه لم يلتزم قافية واحـــدة ونظم في عديد من البحور. ويظهر أثـــر القرآن الكريم بوضوح في شعره وعمـــق إسلامه وتعلقه بالله تعالى فقال :

قلبي بغيرك لم يرقّ شغافُه
يا ربِّ فاجنبْ حبي الأخطارا
عن كل وجه قد صرفتَ عبادتي
وعبدتُ وجهك وحده مختارا

أغراض شعره :

الإسلام في شعره :

أبرر ظاهرة في شعره التيار الإسـلامي فهو الذي أسس جمعية الشبان المســـلمين اقتداء بمصر،لذلك كان سامي المثُل واضح المنهج. فقد ألقى قصيـــدة في الجمعيـــة الإسلامية سنة ١٣٥٠هـ وذكر تمزق الأمة الإسلامية وتأخرها عن ركب العالم فقال:

أين مني وثوبها حرر الخلـــ
ق وســـلطانها أذل المظـــالم
ما أرى اليوم ؟ موطنًا مستباحًا
ورعايا تُسام سوم الســـوائم

وفي قصيدة ألقاها في (جمعيـــة الشـــبان المسلمين) يظهر تمسكه بالرسول الكريم فيقول في ذكراه :

خلت العصور وأنت أنت الأوحدُ
ذكرى مقدســـة ومجد ســـرمدُ
تتضاءل العظماء عندك والسما
وتحط شـــاهقة ويصغر ســـؤددُ

حرصه على اللغة العربية :

قال يمدحها:

تنـــزَّل قرآن بها ما تلوته
صحوت على معنى أعز عظيم .
تَملأُ منه بالرواء محمد
وآتى به الدنيا أريج شميم

الوحدة العربية :

وقد كان من أوائـــل الدعـــاة إلى الوحدة العربية على أن تكون قاعدتهـــا إسلامية، قال :

ألا فاسلكوها وحدة عربية
لها من هدى الإسلام روح ومظهرُ
لأن العروبة والإسلام لا يمكـــن فصـــل أحدهما عن الآخر .
إن العروبة والإسلام ما فتئا
هنا بواديك في عزٍّ وتمكينِ

ولم يكن الشرقي يفرق بـــين العروبـــة والإسلام والشرق في بداية عصر النهضـــة فقد قال شوقي :

إن العروبة لفظ إن نطقت به
فالشرق معناه والإسلام والضاد

وعندما مات ياسين الهاشمي داعي الوحدة العربية قال :

يا ناشد الوحدة الكبرى ليبعثها
حلمًا لحلقٍ وأقطارًا لأقطارِ

وكان إحساسه موزعًا بين البـــلاد العربية في فلســطين ولبنـــان وســورية والأردن والشام والمغرب ومصر،والأقطار التي كانت ترسف تحـــت الاســتعمار الأجنبي فنظم عددًا مـــن القصـــائد في قضاياها، وبقي محافظًا حتى آخر قصيـدة نظمها في تكريمه على نســـجه القـــوي وجزالة عبارته الشعرية وحافظ على رأية باستمرار بأن :

الشعر ما روّى النفوس معينه
وجرت برقراق الشعور عيونُه

ووصف الشاعر بأنه هو الـــذي يعـــاني التجربة والإحساس الصادق بقوله :

الشعر من وهج الشعور
ونـــار أشـــواق الضـــمير
نغمٌ، وإيقاعٌ، وعاطفةٌ،
(م)تمـــوج في الصـــــدور

وبقي محافظًا محافظة كبيرة في شعره ولم يخرج على عَروض الخليل أو يتـــأثر بالتيارات الجديدة والحياة المعاصرة ، كما تأثر بها معروف الرصـــافي والزهـــاوي والشبيبـــي والكاظمي. فقد لزم القافيـــة الموحدة وإن نظم بعض القصـــائد الـــتي اختلفت قوافيها مثل شـــعراء النهضـــة الجديدة. لكننا لم نجد فيه التطور العصري الذي يلائم حركات النهضـــة الحديثـــة لذلك لم يألفه الجيل الذي جاء بعده، ولم يعكف عليه أحد الشعراء والنقاد لدراسته وإبراز محاسنه الكثيرة،ولم يرق شعره حتى في غزله الذي لا يهز قوله قلوب العشـاق إنما يرضى العقل ويتحدث عن الحـــب وكأنه ظاهرة من الظواهر الخارجية فقـــد نظم بفتاة أندلسية لعلها دليلة الآثار قال:

حسناء تزهو مثل رأد الضحى
ما أضـــوأ الحســـن بها ما أتم
إسانة قد لامست ناظري
أنســـيت غزلان العلا والعجم
في غرف الحمراء طافت معي
وســـحرها ينقـــلني لا القدم
تذكي بي الشجو ولولا النهى
تمســـكني ذاب الفؤاد ســـدم
أودعت ، إذ ودعتها خافقي
فـــوق ثـــراها وافيًا بالـــذمم
شطر لحسناء رعت ذمة
حبًا وشـــطر للتراث الأشـــم

ولعل عدم العناية بـــأدب الأثـــري وشعره تولدت من أن الدولة لم تشـــجع التيار الإسلامي بداية من عهد الاحتـــلال

الذي كان يؤكد على الآشوريين والكلدانيين والبابليين، ويترك التاريخ الإسلامي ليضعف الرابطة الإسلامية التي كانت تربط العراق بالدولة العثمانية واستمرت على هذا النهج الحكومات بعدها فلا تعجب إن ابتعد النقاد والمؤرخون عن الأثري و لم يكتب عنه غير عدد محدود من المؤرخين يعدون على الأصابع. وقد عده الجيل شاعرًا بعيدًا عن التأثر بالآراء الجديدة التي كانت تنتشر في الهلال والمقتطف والمقطم وغيرها من الجرائد المصرية، ثم إن الأثري اهتم بالأمور التربوية وانصرف إليها انصرافا كبيرًا، وكان شعره كما قال الدكتور البسام:" مصدرًا غنيًا للتربية بمعناها المحدود أو معناها الواسع " لاهتمام الشاعر بقضايا الأخلاق وتوثيق الصلات بين الإسلام والأمة العربية .

مواقفه السياسية :

ونظم في قضايا العرب وضد الاستعمار في كل الأوطان العربية وشارك في سنة ١٩٤١م بقصيدة يؤيد فيها رشيد عالي الكيلاني مطلعها :

غمزوا إباءك فاضطرمت إباء
وحشدت جوك والثرى والماء

وبقى الشاعر بعيدا عن الحياة العامة بعد إحالته على التقاعد سنة ١٩٦٣م حتى الحرب الإيرانية العراقية التي أعادت إليه مساهمته الشعرية الكبيرة خلال أعوامها وقد أشار مؤرخو حياته بنشاطه خلالها وأدهشتهم حركته الواسعة وهو في الشيخوخة. قال الدكتور عدنان الدوري:"وقوفه ثمانية أعوام يجاهد الحرب الإيرانية الباغية مع أمته شاعرًا يشيد ببسالة الجيش العراقي، ورسول إعلام إلى الأقطار العربية في قارة إفريقيا ومصر والسودان وتونس والمغرب " وقال:"حين بدأت الحرب في أيلول ١٩٨٠م ، بادر الأستاذ الأثري فأنشد أولى قصائده الجهادية من دار الإذاعة. وإلى نظم القصائد . ورحل وهو تحت وطأة الشيخوخة ووهن العظم ثلاث رحلات إعلامية إلى الأقطار العربية الأفريقية في السنوات١٩٨٣م،١٩٨٥م،١٩٨٧م)(١)

وأكد الدكتور محمود الجادر ذلك والدكتور أحمد مطلوب بأن قصائده كانت تتدفق كتدفق القذائف على الأعداء. وأذيعت قصيدته القادسية الجديدة من دار الإذاعة، ولعلها كانت أسبق قصائد الشعراء. وفي ديوانه خمس

(١) محمد بهجة الأثري ص ٣٣٦ و ٣٣٧ .

قصائد في الحرب العراقية الإيرانية منـــها

قوله :

لا يأفِكَنَّكم الأفكاك حسبكم
ما خيّلوه فأغواكم وما رجموا
إن الأعاريب والقرآن شاهدهم
إخوان صدق لإخوان الصفا سلم
فيمَ الشناءة تغلي في نفوسكم
عليهـــم و لم الشـــحناء والنقم؟
أمن سواهم رسول الله منتجب
وآله والإمـــام المرتـــضى العلم
من غيرهم أدخل الإسلام أرضكم؟
فكـــان بينـــكما آل وملتـــأم

الثُمالة :

وبقى الأثري وقّاد الذهن ثَرٌّ القريحة حتى أواخر عمره، فقد ألقـــى بعـــد أن جاوز التسعين ١٩٩٣م قصيدة في حفـــل تكريمه سماها (طاقات وفـــاء وتقديـــر) بدأها بالنثر وقال عن هذا الحفل بأنه:"فذٌّ في صورته وصيغته الإجماعية لا تعرف له سابقة في تاريخ العراق " .

دلت القصيدة على قدرته على العطـــاء فقد قاربت التسعين بيتًا منها :

بنا من العشق للعلياء والقيم
ما بالشمائل من صفو ومن كرم
نهوى الجلال ونصفيه الهوى نزهًا
والنبل في الصنع والإخلاص في الذمم
ونكتسي العز أحسابًا مكرمة
قد ما جَدَتْ بذُكاءَ البذل في الأزم
كذا جُبلنا و لم نفقد سجيتنا
في غابر الناس أو في حاضر الأمم

ووصَّى أن يكون الإنسان معتمدًا علـــى نفسه وقدرته وأن يكون عصاميًـــا ولا ينسى فضل قومه عليه أو أمته :

كن في الحياة عصاميًا وكن أبدًا
حليف قومك لا تبعد ولا ترم
وافتخر بالعرب قومه الذي صنعوا التاريخ

فقال :

قومي هم صنعوا التاريخ إذ ملكوا
أعفة عظـــماء النفـــس والهمم
مشوا إلى جنبات الأرض في يدهم
فرقان ربي يهدي الخلق للســـلم
دعوا إلى الله فانقاد الأنام لهم
شوقًا إلى الله والتوحـــيد والقيم

وقد نال ما لم ينل أحد سواه مـــن أعضاء المجمع أو المفكرين أو العلماء، فقد كرمته الدولة العراقية لبلوغه التســعين؛ إذ اقترح الدكتور منذر الشاوي أحد وزراء التعليم العالي في١١ تشرين الأول١٩٩٢م

في إحدى جلسات المجمع تكريمه كما خطط لهذا التكريم باقتراح تشكيل لجنة حدد لها مجالات العمل شاعرًا وناثرًا وأوصى بأن يدرس حياته الباحثون. وسبب هذا التكريم بأن الدول الأخرى تكرم العلماء والأدباء، وطلب أن يسجل ما يدور في حفل التكريم في كتاب وتوفير الوسائل الكافية له، وأن تسمى قاعة باسمه ، ونفذ المجمع الاقتراح بحذافيره خلال أربعين يوما، وأقيم له حفل التكريم في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٣م وساهم أعضاء المجمع الدكاترة صالح أحمد العلي، ونوري القيسي - وعبد العزيز البسام، وأحمد مطلوب. وألقيت قصيدتان للدكتور مصطفى نعمان البدري، والشاعر نعمان الكنعاني، وأسهم من خارج المجمع الدكتور محمود الجادر والدكتور حسام النعيمي، وقدمت له هدايا من ممثل رئيس الجمهورية ، ومن المجمع العلمي العراقي، ووزارة الأوقاف وجامعة بغداد، واهتمت وسائل الإعلام بالحفل، وكان قد منح جائزة الرئيس صدام حسين سنة ١٩٨٩م للإنتاج الأدبي، ودرجة الدكتوراه من جامعة بغداد سنة ١٩٨٢م .

وأخيرًا حاولت رسم صورة قريبة للأستاذ الأثري معتمدًا على المصادر التي كتبت عنه وأهمها: كتاب تكريمه وكتابي (شعراء العراق في القرن العشرين)، ومجلة (الفيصل) وعلى معرفتي الشخصية به مدرسًا ومفتشًا اختصاصيًّا، وزميلا في المجمع العلمي العراقي. وأتمنى أن أكون قد وفقت .

وهو بحاجة إلى دراسة موسعة متأنية لا يكفي بحث واحد لإنسان أسهم لثمانين سنة في حقول التربية والتحقيق والشعر والتأليف .

رحم الله الأثري، وأرجو أن يغفر الله له ولنا جميعًا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يوسف عز الدين

عضو المجمع المراسل

من العراق

ثانيًا ـ تأبين المرحوم الأستاذ سعيد الأفغاني
عضو المجمع من سورية

في الساعة الواحدة ظهر يوم الثلاثاء ١٦ من ذي القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق ٢٥ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٧م ، أقام المجمع حفلاً لتأبين المرحوم الأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع من سورية .

وهذه هي الكلمات التي ألقيت في الحفل:

كلمة المجمع في تأبين المرحوم الأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع الراحل

للأستاذ الدكتور شاكر الفحام

أستاذي الجليل الدكتور شوقي ضيـــف
رئيس المجمع :
أساتذتي وزملائي أعضاء المجمع الأجلاء:
أيها الحفل الكريم :

الأستاذ سعيد الأفغاني عالم فذ مـــن علماء العربية ، أولاها عنايته البالغـــة ، ووقف حياته يدرُسها ويدرِّسها . وكـان رحمه الله ، طُلَعة تواقا إلى المعرفة ، فأكب على كتب التراث ، يروي نهمه للعلـم ، فاتسعت آفاق المعارف التي حذقـــها ، فولجها مؤلفا تارة ، ومحققا تارة أخرى ، وخلف ثروة نفيسه من تآليفه وبحوثـــه وتحقيقاته .

ولد ، رحمـــه الله وأغـــدق عليـــه سحائب رضوانه ، بدمشق عام ١٩٠٩م في أواخر أيام الدولة العثمانيـــة ببـــلاد الشام. وهو سعيد بن محمد جان الأفغاني الدمشقي . وكان والده من الصـــالحين. هاجر من كشمير إلى بـــلاد الشـــام ، وسكن دمشق ، ودعاه الناس بالأفغـــاني. وتزوج من دمشق من أسرة الأبيض ، وأنجب سعيدًا وأختا لـــه ، ثم توفيـــت زوجه، وكان عُمْر سعيد حينذاك ثـــلاث سنوات ، فوقف الوالد حياته على تربيـــة ولديه ، ولم يتزوج (١) .

التحق الأستاذ ســـعيد بالدارســـة الابتدائيـــة (١٩١٨ - ١٩٢٣) ، وأتم الدراسة الثانوية (١٩٢٣ - ١٩٢٨م) ، ثم درس في مدرسة الآداب العليا بدمشق (١٩٢٩ - ١٩٣٢م) . ومارس التعليـــم متنقلا في كل مراحله : بدأ معلما ابتدائيا في قرية منين قرب دمشق سنة ١٩٢٨م ، فمدرسا إكماليا في المتوسطة التجارية بين ســـنتي ١٩٢٩م - ١٩٤٠م ، فمدرســـا ثانويا بين سنتي ١٩٤٠م - ١٩٤٦م ، ثم أصبح مدرسا في قسم اللغة العربية بكليـة الآداب بجامعـــة دمشـــق منـــذ عام١٩٤٨(٢).

وفي عام ١٩٥٦م أوفد لزيارة أقسام اللغة العربية ودور الكتب في بلاد أوربيـة وعربية مختلفة ، منها فرنســـا وإســـبانيا وتونس ، فأتاح له ذلك أن يطلع علـــى

كثير من نفائس التراث مثل حجة القراءات لأبي زرعة ، وملخص إبطال القياس والرأي ، وكتاب التقريب لحد المنطق ، وكلاهما لابن حزم ، وقد عثر عليها جميعا في تونس ، والإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي ، وقد عثر عليه في المكتبة الوطنية بباريس (ووقع في عنوان المخطوطة بعض الخطأ)(٣).

وفي أول يناير (كانون الثاني) ١٩٥٧م سمي أستاذا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، ثم أصبح رئيس القسم في عام ١٩٥٨م ، وانتخبه المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٠م عضوا مؤازرا.وصار عميدًا لكلية الآداب بجامعة دمشق في سنة ١٩٦١م،ومثل في السنة نفسها(١٩٦١م) جامعة دمشق في حلقة تيسير النحو التي انعقدت في القاهرة بكلية دار العلوم (٤)،ومثلها أيضا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وفي سنة ١٩٦٢م اشترك في المهرجان الألفي لمدينة بغداد وذكرى فيلسوفها الكندي . وفي سنة ١٩٦٣ دعته جامعة طهران فزارها وألقى محاضرتين فيها . وفي السنة نفسها مثل جامعة دمشق في مهرجان ابن حزم والشعر العربي الذي انعقد بقرطبة (١٣/٥/١٩٦٣م)،وألقى فيه محاضرته النفيسة: نظرات في اللغة عند ابن حزم (٥) .

وفي سنة ١٩٧٠م انتخبه مجمع اللغة العربية بالقاهرة عضوا مراسلا . ومنذ هذا التاريخ أخذ الأستاذ الأفغاني يشارك في أكثر مؤتمرات المجمع ببحوث تطالعك في مجلته .

وظل الأستاذ الأفغاني رئيسًا لقسم اللغة العربية بكلية الآداب (جامعة دمشق) حتى إحالته على المعاش (التقاعد) في ١/١/١٩٦٩م . ولكن حبه للتدريس والعربية دعاه إلى تلبية طلب الجامعة اللبنانية ، وجامعة بيروت العربية للتدريس فيها ثلاث سنين (١٩٦٨م-١٩٧١م)، ثم دعته الجامعة الليبية للتدريس (١٩٧٢-١٩٧٧)(٦).وشارك في ملتقى ابن منظور بمدينة قفصة بتونس . ودعته الجامعة الأردنية للتدريس سنة ١٩٨٠م ، ثم جامعة الملك سعود سنة ١٩٨٤م.

انضم الأستاذ الأفغاني إلى مجمع الخالدين بالقاهرة ، وكان أحد الأعضاء العاملين الخمسة الذين استقبلهم المجمع في الخامس من شعبان سنة ١٤١١هـ

الموافق ٢٠ من فبراير (شباط) سنة ١٩٩١م ، وقد ألقى كلمة المجمع في استقبال الأعضاء العرب الجدد الأستاذ الدكتور شوقي ضيف (وكان آنذاك الأمين العام للمجمع) ، وألقى الأستاذ سعيد الأفغاني كلمة الأعضاء الخمسة الجدد(٧) .

وعانى الأستاذ الأفغاني في أواخر عمره من متاعب صحية ألمت به ، فقيد ذلك من حركته ، ومال إلى العزلة ، وأحس من بعدُ قسوة الحياة حين فقد قرينة حياته ، وأخيرا أوى إلى مكة المكرمة ليقضي بقية حياته بقرب ابنته ، تعنى به وتشرف على أموره ، حتى لبى نداء ربه في مساء يوم الثلاثاء ١٤١٧/١٠/١١هـ - ١٩٩٧/٢/١٨م عن عمر يناهز الثامنة والثمانين رحمه الله الرحمة الواسعة ، وأغدق عليه سحائب رضوانه ، وأنزله منازل الأبرار المتقين .

لقد كان التدريس أحب شيء إلى قلب الأستاذ الأفغاني . وإن طلابه ليذكرون له مقدرته الفائقة في إفهامهم قواعد العربية ، وإلحاحه في مطالبتهم بأن يتقنوا ما ألقي إليهم الإتقان كله . وقد تخرج به طلاب كثيرون ، مايزالون يحفظون له جميل صنيعه ، ويكنون له الإكبار والإجلال .

وألف في النحو عدة كتب لتكون مراجع لطلابه والآخذين عنه . وهي كتب نفيسة في بابها . منها :

١- الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدها ، وقد عالج فيه الشواهد وانتقاءها ، وتحدث عن قواعد الاحتجاج بها .

٢- في أصول النحو (ط١/١٩٥١م): ودرس فيه موضوعات : الاحتجاج ، والقياس ، والاشتقاق ، والخلاف . وقد طبع الكتاب مرارا ، وما يزال مرجعا يثل إليه الدارسون .

٣- من تاريخ النحو .

٤- مذكرات في قواعد اللغة العربية (١٩٥٥م) وهي أمالٍ لطلاب السنة الأولى ترشدهم وتقود خطاهم ، وتُعوِّدهم طريق البحث والرجوع إلى المصادر .

وتتميز عبارة الأستاذ الأفغاني في هذه الكتب بالدقة والوضوح والبعد عن التطويل .

على أن الأستاذ الأفغاني لم يقصر نشاطه على التدريس ، وما يستتبعه من تـأليف يدور في فلكه ، بل خرج إلى التأليف في ميادين أفسح .

لقد كان الكتاب صديقـه المحبـب وجليسه ، رافقه طوال حياته ، ولازمـه ملازمة ظله ، فأطل على رياض من العلم مؤنقة ، وفاض قلمه بكتب عالج فيـها موضوعات شتى ، تستمد أصالتها مـن تراث العربية ، وتتصف بالجدة والطرافة. يأتي في مقدمتها :

١- كتاب : "أسـواق العـرب في الجاهلية والإسلام" .

وهو من أوائل الكتب الـتي صنفـها ، صدرت طبعتـه الأولى بدمشـق سـنة ١٩٣٧م ، فلقـي القبـول وحظـي بالانتشـار، فطبـع غـير مـرة (ط٢/١٩٦٠م،ط٣/بيروت ١٩٧٤م).

وقد قدم المؤلف بين يـدي كتابـه كلمة تحدث فيها عن دوافعـه لتـأليف كتابه مبينًا " مقدار الحاجـة إلى بحـث يعرض لأسواق العرب وما كانت عليـه في الجاهلية والإسلام ، وما قامت به من عمل في خير العرب ولغتهم ". وأشار إلى ما بذل من جهد جهيد ينقب في المصادر وهي جِدُّ شحيحة، حتى تمت له مـادة الكتاب الذي تنحصر بحوثه بين عـهد الجاهلية والقرن الثاني للهجرة (٨).

وجعل كتابه ثلاثة أبواب :

أما البـاب الأول (ص ١٣-٨٧) فعرض لأمور الجاهلية في أنواع بيوعـها وموقف الإسلام منها ، وحديث عن رِبا الجاهلية ، وذكر للمحلِّـين والمحرمـين والحُمس .

والبـاب الثـاني (ص٨٩- ١٩٠) يتناول أحـداث قريـش التجاريـة ، فيتحدث عن قريش التجار ، وإيـلاف قريش ، وحـرب الفجـار ، وحلـف الفضول.

ولابد أن نذكر ما يلقـاه حلـف الفضول في أيامنا هـذه مـن حفـاوة المنظمات الدولية .

وكأن البابين كانا تمـهيدًا وفرشـا للباب الثـالث (ص ١٩١ - ٤٥٢) الذي عالج لُب الموضوع وهو "أسـواق العرب في الجاهلية والإسلام" ، وقد بـدأ الأستاذ الفـاضل بأسـواق الجاهليـة فعددها عشرين سوقا يأتي في مقدمتـها سوق عكاظ وسـوق مجنـة وسـوق ذي المجاز .

ثم ينتقل إلى الأسواق في الإســـلام ، وبيان أن الحال قد تبدلت ، لأن الحواضر تكثر فيها الأسواق الدائمة ، فلم يشـــتهر في الإسلام سوق لم تكن في الجاهليـــة إلا سوق المربد في البصرة التي ورثت ســـوق عكاظ .

لقد استرعى هذا الكتاب النفيـــــس اهتمام الباحثين والدارسين بتَفَرُّده ، فقـــد جمع فأوعب ، واستقصى مـــا جـــاء في الكتب المصادر فضم ما تفرّق ، ودقـــق النظر ، فأتى كتابا باكورة في بابه .

٢- ومن كتبه المشهورة : "الإســـلام والمرأة" (دمشق ١٩٤٥م) .

وقد اقتصر الأستاذ الأفغاني في دراســـته على مرحلة محدودة ، وبـــين دافعـــه إلى ذلك فقال : " فرأيت أن أحاول دراســـة المرأة بين جاهليتها وإسلامها ، دراســـة تستند إلى النصـــوص المجمـــع عليـــها ، والوقائع الصادقة المتواترة ، مقتصرًا علـــى عصرها الأول ، وهو للمـــرأة العربيـــة عصرها الذهبي بلا مراء " .

وكان هذا الكتاب تمهيدًا لكتاب تـــالٍ أصدره بعنوان :

٣- عائشة والسياســـة (القـــاهرة - ١٩٤٧م) (٩)

٤- وله كتاب : "حاضر اللغة العربية في الشـــام " ، وهـــو مجموعـــة محـــاضرات ألقاهـــا في معـــهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة عام ١٩٦١م ، وبسط فيها حيـلة اللغة العربية في الشام في الخمسين عامًا الماضية (١٠) .

وأحب الأستاذ الأفغـــاني ابـــن حـــزم الأندلسي حبًا مَلـــك عليـــه نفســـه ، وأعجب به الإعجاب كله ، يقول : " وكلّ من قرأ تراث ابن حزم بإمعـــان أكبر فيه العقل الواسع والفكر الخصـــب والغور البعيد والعبقرية العجيبة . وليـــس أحد يدرس حياته إلا غمـــره التقديـــس لمجاهد رفع من شأن الحرية الفكريـــة ، وذهب بها كل مذهب ، فعاش من أجلها شريدا ، ومـــات في ســـبيلها مجـــاهدا شهيدا"(١١).

وقد عني به عناية خاصة ، وأكـــبَّ على دراسة كتبه ، وتحقيق بعض آثـــاره. فألف كتابه :

٥- ابن حزم ورسالته في المفاضلة بين الصحابة (دمشق - ١٩٤٠م).

وهو قسمان : أولهما تناول فيه حياة ابن حـــزم (ص ٧-١٥٠) ، فدرســـها

دراسة واسعة،وأحاط بجوانبها، ودل على سجايا ابن حزم وأخلاقه وذكائه المتوقد وعبقريته، وأفصح عن تلك الصلة السرية تشده إلى ابن حزم ، وخلص من دراسته إلى القول:"...فكأن[ابن حزم] أفحل ذهن انبثقت عنه الأندلس في جميع عصورها. وهو في رأيي الذهنية الفريدة التي تمثل الثقافة الأندلسية أصدق تمثيل، ولست أرى هذه الميزة لآخر سواه"(١٢).

أما القسم الثاني فهو تحقيق رسالته في "المفاضلة بين الصحابة" . وهي رسالة سبق أن طبعت في كتاب : "الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل " لابن حزم ، فآثر الأستاذ الأفغاني إعادة تحقيقها لينشرها بين الناس مجلوة في قالب علمي متقن، وقد تدارك ما وقع في الطبعة الأولى من تحريف ونقص .

ومع إعجابه الشديد بابن حزم لا يخفى حسرته على ما تجلّى في أسلوبه من عنف لا موجب له ، قد جرّ عليه ألوان البلاء . (١٣).

ثم نشر له ترجمته التي أوردها الإمام الذهبي في كتابه "سير النبلاء"(١٩٤١م)، فأظهر هذه الدرة الخطيرة من مخبئها المخطوط ، محققة مدققة .

وعاد فحقق له كتابه : "ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل" (جامعة دمشق – ١٩٦٠م) وقد لحا ابن حزم فيه منحى الظاهرية الذين أبطلوا القياس والرأي وما دار في فلكهما من الاستحسان والتقليد والتعليل .

ويختم دراساته لابن حزم بكتابه :

٦- نظرات في اللغة عند ابن حزم (جامعة دمشق – ١٩٦٣م).

وكان في الأصل موضوع محاضرته التي ألقاها في مهرجان ابن حزم ، وهو مَثَلٌ للجهد الجاهد الذي بذله الأستاذ الأفغاني ليجمع النُّبذ المفرقة من آراء ابن حزم ، الموزعة في كتبه . فأورد آراءه في اللغة عامة ، ثم عرض لآرائه في اللغة العربية وعلومها في عصره ، مفصِّلا القول في ذلك ، متتبعا آراءه في كتبه المختلفة . ولكن الأستاذ الأفغاني لم ينسَ أن يبدأ كلمته بالاحتياط فِعل العلماء المحققين فهو يقول : " أريد أن أحتاط في الأول ، فأقرر أن ما وصلت إليه من أحكام موقوت ، إلى أن نظفر من آثار ابن حزم بما يغير منها ، فابن حزم – كما تعلمون– من الأفذاذ الذين لا يستطاع

علميا إرسال الحكم فيهم باتًا حاسمـــا ، لأن معظم آثاره مفقود ، فـــإن أمكـــن تقدير ما نُشر منها وهو القليـــل ، فلـــن يمكن بحال إطلاق الأحكام الشـــاملة ، حتى في نظرتنا إلى لغته ، فقد يظن بعـض الناس أن في الاطلاع على بعض كتبـــه غنية في تصوير لغته وأسلوبه ، وهيهات ، فلكل موضـــوع معجمـــه وتراكيبـــه وأسلوبه..." (١٤).

* * *

ولئن جود الأســـتاذ الأفغـــاني في مؤلفاته ، وقدَّم نظرات جديدة أغنـــت المكتبة العربية ، إن له جانبا آخر برع فيه براعة فائقة هو تحقيقه كتـــب الـــتراث تحقيقا بلغ فيه الغاية .

كان رحمه الله يتـــأنى ويـــتروّى في اختيار المخطوط الذي يريـــد تحقيقـــه ، وكان يؤثر المخطوط النادر الفريد الـــذي يضيف إلى العلم إضافة جديدة ، ثم يتوفر عليه تجويدًا وتدقيقًا حتى يجلوه في أحسن معرض، ويقدم للمخطوط المحقق بمقدمـــة تطول أو تقصر تتناول صفة المخطـــوط ، ومؤلفه ، وموضعه من الكتب المؤلفـــة في بابه ، مما ييسر للقـــارئ أن يمضـــي في قراءته مطمئنًا ، قد ذلل له كل صعب.

من كتبه المحققة :

١- كتاب "الإجابـــة لإيـــراد مـــا استدركته عائشة على الصحابـــة" للزركشي (١٩٣٩م).

٢- والجزء الخاص" بترجمة الســـيدة عائشة من كتاب سير النبـــلاء" (١٩٤٥م).

وقد أفاد منهما في تأليف كتابه : "عائشة والسياسة" .

وحقق أيضًا كتابين لابن الأنباري هما :

٣- "الإغراب في جدل الإعـــراب" (١٩٥٧م).

٤- "ولمع الأدلة" (١٩٥٧م).

وحقق كتاب :

٥- "تاريخ داريا للقاضي عبد الجبـــار الخـــولاني" (دمشـــق - ١٩٥٠م/جامعـــة بنغـــازي - ١٩٧٥م)

وكانت داريا " أعظم قرى أهل اليمـــن بغوطة دمشق"تبعد عن دمشق بنحو ثمانية كيلو مترات جنوبًا إلى الغرب(١٥).

ويذكر الأستاذ الأفغاني في مقدمـــة طبعته الثانية للكتاب أن تاريخ داريا قـــد صدرت طبعته الأولى قبل خمسة وعشرين عاما عن مصـــورة لنســـخة المتحـــف

البريطاني، ولكن الحظ أسعده بنسخة جيدة في المكتبة الأحمدية بتونس ، فرأى إعادة تحقيق الكتاب ، ووفّاه حقه من العناية والتحقيق والتصحيح (١٦).

والمادة الأساسية في تاريخ داريا هي تراجم مَن نزل داريا مِن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين الأكابر، وطبقة بعدهم ، وأصحاب أبي سليمان الدارياني (ت نحو سنة ٢١٥هـ) من أهل داريا السُّكان فيها .

وبلغت التراجم سبعة وأربعين ترجمة من أهل الحديث في داريا . لقد سلك الخولاني في تأليف كتابه طريقة علماء الحديث في التاريخ .

وقد ذكرتُ في الفقرة الخاصة بمؤلفاته والتي تحدثتُ فيها عن صلته الوثيقة بابن حزم عن تحقيقه لرسالة ابن حزم في :

٦- المفاضلة بين الصحابة .

٧- وكتابه في ملخص إبطال القياس والرأي.

٨- وعن تحقيقه لترجمة ابن حزم التي أوردها الإمام الذهبي في كتابه سير النبلاء .

ومن أشهر الكتب التي حققها أيضًا:

٩- كتاب الإيضاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي .

وهو كتاب نادر وصف مؤلفه الفارقي مضمونه بقوله :" فاعتمدت في ذلك على جمع أبيات ألغز قائلها إعرابها ، ودفن في غامض الصنعة صوابها ، وكانت ظواهرها فاسدة قبيحة ، وبواطنها جيدة صحيحة ، وجئتُ بها على حروف المعجم شيئا فشيئا ... وأوضحتُ شكلها، وفصلتُ مجملها ، مع الاستكثار من النظير والشاهد ، فلم أُبقِ فيها شبهة للمتأمل ... " (١٧).

والكتاب بشواهده وتوضيح مشكله من الكتب الفرائد ، فأبياته بمشكلاتها تعد من الألغاز ، وتشوق المطالع أن يتابع القراءة ليجد الحل وتوجيه الإعراب.

ولهذا الكتاب خبر طريف. فقد وجد الأستاذ المحقق مخطوطته بالمكتبة الوطنية بباريس . وقد جاء عنوانها على النحو التالي :

"توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب " للرماني .

وخُيِّل إليه بعد البحث أن النسخة وحيدة ، وبعد أن أتم التحقيق والطبع (دمشق - ١٩٥٨م) تنبه إلى ما جاء في

العنوان من خطأ في تسمية الكتاب وتسمية مؤلفه ، فألصق بالنسخ المطبوعة قبل توزيعها نشرة تهدي القارئ إلى الصواب.

ثم عاد فجدَّد تحقيق الكتاب باعتماد ثلاث نسخ : نسخة المدينة المنورة ، ونسخة باريس ، ونسخة دار الكتب المصرية . وطبع الكتاب بعنوانه الصحيح وهو "الإفصاح" طبعتين : سنة ١٩٧٤م، وسنة ١٩٨٠م (٨) .

ويأتي في ختام كتبه المحققه كتاب غاية في النفاسة هو كتاب :

١٠- حجة القراءات (منشورات جامعة بنغازي - ١٩٧٤) لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة من رجال المئة الرابعة .

وقد مهد الأستاذ المحقق بين يدي الكتاب بدراسة تناولت القراءات وتاريخها وأصحاب القراءات الأربع عشرة ورواتهم (ص ٧-٧٣) ، فيسَّر للقارئ أن يكون على بيِّنة مما سيمر به في متن الكتاب .

وكانت تعليقات المحقق غاية في الدقة والإفادة . إنما تأخذ بيد قارئها لئلا يجانبه الصواب .

١١- وللأستاذ المحقق مشاركة وإشراف على تحقيق كتاب "المغني" لابن هشام .

* * *

ويبقى أن نشير إلى ما للأستاذ ; الأفغاني من مقالات وبحوث كثيرة نشرها في المجلات العربية المختلفة مثل: مجلة "الرسالة"لأحمد حسن الزيات، ومجلة "الثقافة" لأحمد أمين ، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وسواها . وهي تشتمل على فوائد جمة ، وتنير جوانب غامضة .

ويحضرني الإشارة إلى المساجلات النفيسة التي نشرت على صفحات مجلة الرسالة حول كتاب المتنبي بين مؤلفه الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر والأستاذ سعيد الأفغاني، والتي جُمعت بعدئذ ونشرت في كتاب "المتنبي" بطبعته الجديدة .

ونرجو أن يتصدى باحث فاضل لجمع هذه المقالات الموزعة وضمها بين دفتي كتاب .

عُرف الأستاذ الأفغاني بالاستقامة والنزاهة والمواقف الصلبة ، وبالخلق الوعر إن جاز لي أن استعير تعبير أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

ولم يتسع في صلاته بالنـــاس ، بـــل اقتصر في علاقاته على طائفة يسيرة مـــن الأصدقاء .

وكان في تدريسه حريصًا على تهيئـة طلابه للبحث، ومناقشة الآراء والترجيح بينها ، وتدريبهم أن يعتـــادوا مراجعـــة المصادر الأساسية ويحسنوا الإفادة منـها . وتتراءى جوانب من منهجه التَّدريسيّ في تلك الأمالي التي كان يقدمها إلى طلابه .

وهو من الكُتّاب المجوِّدين ، كـــان يُعنى بأسلوبه، ويتأنق في كتابته ، وتتميز عبارته بالجزالة والدقة والوضوح والبعـد عن التطويل .

وبلغ في تحقيقه الغاية ، فكان يجتـهد في البحث عن أصول المخطوط الـــذي يزمع تحقيقه ، ويقدم بين يدي الكتـــاب المحقّق ما ينير للقارئ خطـــة الكتـــاب، وموقعه بين الكتب المؤلفـــة في بابـــه . ويختار أن يكون المخطوط من الكتـــب النوادر التي تغني المكتبة العربية وتضيـف إليها جديدا .

رحم الله الفقيد الغالي وأسكنه فســـيح جنانه .

شاكر الفحام

عضو المجمع من سورية

الحواشي

* أفدت من كلمة أستاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف التي ألقاها في حفل الاستقبال (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٧٢ / مايو ١٩٩٣م : ١٥٧-١٥٨).

(١) الدكتور محمد بن لطفي الصباغ في كلمة له ترجم فيها للأستاذ سعيد الأفغاني .

(٢) حاضر اللغة العربية في الشام (القاهرة - ١٩٦٢م) : ٨-٩، ٨١-٨٥ .

(٣) حجة القراءات (منشورات جامعة بنغازي - ١٩٧٤):٥ ، ملخص إبطال القياس والرأي (جامعة دمشق - ١٩٦٠م) : ٣ ، نظرات في اللغة عند ابن حزم للأستاذ سعيد الأفغاني (جامعة دمشق - ١٩٦٣) : ٨، ٣٧-٣٨، الإفصاح (مؤسسة الرسالة - بيروت / ط٣، ١٩٨٠) : ٣

(٤) حاضر اللغة العربية في الشام : ٢٠٠ - ٢١١ .

(٥) نظرات في اللغة عند ابن حزم : ٣-٦.

(٦) حجة القراءات : ٦ .

(٧) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٧٢ (مايو ١٩٩٣) : ١٥٣-١٦٥.

(٨) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ط٣/بيروت ١٩٧٤م) : ١٠-١١.

(٩) الإسلام والمرأة (دمشق - ١٩٤٥) : ٧ ، ١٠ .

(١٠) حاضر اللغة العربية في الشام (القاهرة - ١٩٦٢) : ٨ .

(١١) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة (دمشق - ١٩٤٠م) :٤.

(١٢) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة : ١٥٠ .

(١٣) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة : ١٥٤-١٥٧، ١٦١-١٦٣، ٢٨٠ .

(١٤) نظرات في اللغة عند ابن حزم : ٧ .

(١٥) تاريخ داريا : ٨ ، ٩ .

(١٦) تاريخ داريا : ١٧،٢١ .

(١٧) الإفصاح : ٥٢ .

(١٨) الإفصاح : ٣٢ - ٣٧ .

ثالثًا ـ تأبين المرحوم الأستاذ محمود محمد شاكر
عضو المجمع

في الساعة الحادية عشرة من صباح يـــوم الأربعاء ١٧ من شعبان سنة ١٤١٨هـــ الموافق ١٧ من ديسمبر ســـنة ١٩٩٧م ، أقام المجمع حفلاً لتأبين المرحوم الأستاذ محمود محمد شاكر عضو المجمع .

وهذه هي الكلمـــات الـــتي ألقيـــت في الحفل:

كلمة المجمع في تأبين المرحوم الأستاذ محمود محمد شاكر عضو المجمع الراحل

للأستاذ الدكتور شوقى ضيف

رئيس المجمع

الزملاء المجمعيون :

سيداتي ، سادتي:

أديب فذٌّ لا نظير له فى عصره ، ولد في الإسكندرية سنة ١٩٠٩ م لعلم جليل من أعلام الأزهر كان حينئذ شيخ علماء معهدها الديني ، اختير سريعا لتقلد وكالة الأزهر فنهض بها أروع نهوض، وتطور بالأزهر طبقا لقانون صدر سنة ١٩١١م. وتم علي يديه تأسيس أقسام الأزهر النظامية بجانب أقسامه القديمة . ولمكانته اختير عضوًا في الجمعية الشرعية ، فكان منزله مورداً كثير الزحام لرجال السياسة في تلك الجمعية، ولعلماء الأزهر والقضاء، وكان لذلك تأثيره في تكون شخصية محمود واعتزازه بنفسه ، واختار له والده التعليم المدني ، فانتظم في مدرسة والدة عباس الابتدائية ، وشغف شغفًا شديداً باللغة الإنجليزية ، مما جعله يهمل اللغة العربية ويرسب في امتحان الشهادة الابتدائية ويعيد السنة الرابعة ، وينكبُّ على العربية وعلى ديوان المتنبي حتى يكاد يحفظه.

ومن حينئذ يصبح من هواة العربية منذ هذه السن المبكرة، ويمضى في التعليم الثانوي فيتعلق بالرياضة، مما جعله يختار القسم العلمي، ولكن تعلقه الأكبر كان بالشعر العربي ، فهو يتنقل بين دواوينه القديمة، وخاصة الدواوين الجاهلية، وأخذ يعجب بها إعجابا شديداً ، حتى لكأنه يتنقل بين قطع رياض جميلة ، وسمع بدروس مسائية في جامع السلطان برقوق يلقيها إمام لغوي كبير هو الشيخ الجليل سيد بن على المرصفى مستعرضًا فيها أشعارًا قديمة، مصوراً فيها ما تحمل من روعة أدبية، فاختلف إلى دروسه، ويبدو أنه كان بين الشيخ ووالد محمود صلة متينة جعلته يستقبل محموداً في منزله ويقرأ عليه شرحه لكتاب الكامل للمبرد، وبالمثل شرحه لديوان الحماسة، وكان لذلك تأثير عميق في تكوين محمود شاكر الأدبي،وفي قدرته على تذوق الشعر العربي، واستشعار ما يحمل لقارئه من لذة وإمتاع.

وحصل محمود على البكالوريا ، ومع أنه تخرج في القسم العلمى رأى الالتحاق

بكلية الآداب، لأنه كان يشغف بالشعر العربي وخاصة بالشعر الجاهلي . وتصادف قبيل التحاقه بالكلية أن قرأ مقالا طويلا في مجلة إنجليزية هي مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (عدد يوليه سنة ١٩٢٥م) عن نشأة الشعر العربي لمستشرق إنجليزي هو مرجليوث زعم فيه أن الشعر الجاهلي جميعه منتحل، وضعه الرواة المسلمون في الإسلام، ونسبوه إلى الجاهلية. وقال محمود في نفسه - حين قرأ المقال - إن الأهواء والضغائن المتوازنة لدى المستشرقين عند الإسلام ولغته العربية هي التي سولت لمرجليوث أن يزعم هذا الزعم المخطىء أشد الخطأ .

وانتظم محمود في عامه الجامعي الأول سنة ١٩٢٦ م في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وأخذ يختلف إلى محاضرات الدكتور طه حسين ، وكانت عن الشعر الجاهلي، وبنى الدكتور طه دراسته له على أساس منهج الشك لديكارت. وعجب محمود أشد العجب إذ رآه يتفق مع مرجليوث في أن الشعر الجاهلي منتحل، أو على الأقل كثرته منتحلة بعد ظهور الإسلام ، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين. وكرر الدكتور طه في دروسه أنه لا يصور حياة الجاهليين الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية، وأيضا حياتهم اللغوية ، ومضى يدرس شعراء اليمن ، ويلقى عليهم ظلالا ثقيلة من الشك فيهم وفي حقائق أشعارهم، محاولا أن يثبت أنها جميعا منتحلة . وكل محاضرة يزداد الطالب النجيب محمود شاكر غيظًا لتوهج مشاعره بتذوق الشعر الجاهلي والاستمتاع به والإعجاب الشديد بشعرائه منذ درسه على شيخه المرصفي. وظل في محاضرات الدكتور طه يتجرع الغيظ ويشقى به ، ولا يتكلم احترامًا وتوقيراً لأستاذه حتى فاض به الكيل . وبعد إحدى محاضراته طلب من الدكتور طه أن يأذن له في الحديث وأذن له ، ففاجأه بمهاجمته لمنهج الشك الذي يتخذه الدكتور طه أساسًا فى دراسة الشعر الجاهلي ، وأخذ يناقشه في الشبهات التى يثيرها في دراسته ودراسة شعرائه ، واشتد في مناقشاته للدكتور طه وفي آرائه اشتداداً دعا بعض المستشرقين في قسم اللغة العربية للتدخل بينه وبين الدكتور طه، حتى يخفف من حدة مناقشته، ولكنه

لم يستجب لهم ، وظل فى هذه المناقشات المحتدمة مع الدكتور طه حسين في سنتى ١٩٢٦ م و ١٩٢٧ م،وصمم بعد هاتين السنتين على ترك قسم اللغة العربية بكلية الآداب، وترك مصر جميعها، واختار السعودية ، ورحب به أولو الأمر هناك ، وعهدوا إليه بإدارة مدرسة أنشأها في جدة باسم مدرسة جدة السعودية الابتدائية ، وأدارها عامًا إدارة ناجحة ، غير أن الحنين الشديد إلى القاهرة موطنه اضطره إلى عودته إليها بعد هذا العام ، فعاد إليها .

عاد محمود شاكر إلى القاهرة، وأخذ يتابع ما كان بدأه قبل سفره من كتابة بعض مقالاته فى المجلات الأدبية ، وأهم من ذلك أنه أكبَّ على قراءة تراث الأمة من تفسير للقرآن الكريم والعلوم الكثيرة المتعلقة به، وبلغته من النحو والصرف والبلاغة، والفقه وأصول الدين وعلم الكلام، وكتب الحديث النبوى وما يتعلق به من مصطلحه وعلم رجاله ورواته وكتب تاريخ الأمة، وكتب الملل والنحل ودواوين الشعر، وكتب النثر، وكتب الأدب المتنوعة،وكتب الجغرافية والفلك. ولم يبق كتاب مهم فى تراث الأمة إلا اطلع عليه ، بحيث غدا مثالا للأديب المثقف بكل تراث أمته فى مختلف العلوم والآداب .

ولا نصل إلى يناير سنة ١٩٣٥ م حتى يُعَرف اسم محمود في الأوساط الأدبية وحتى يَعْهد إليه الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف بإصدار عدد منها إحياء لذكرى المتنبي في عيده الألفي وأن يكتب فيه مقالا مسهبا عنه . وتقبَّل ذلك من الأستاذ فؤاد تقبلا حسنا ، إذ رده إلى المتنبي وديوانه الذي كان قد حفظه في بواكير حياته كما أسلفنا وفُتن به. وأقبل على المتنبي يدرسه ويكتب عنه مقالا طويلا ، وإذا المقال يتحول ترجمة مفصلة لحياة أبي الطيب، استغرقت عدد الهلال في يناير سنة ١٩٣٦ م،تحدث فيها عن نشأته مثبتًا- لأول مرة - أنه ليس جُعْفِيًّا ولا يمنيًّا كما يقول من ترجم له من القدماء ، بل هو علوىُّ النسب من سلالة علىّ بن أبى طالب ، ويبطل ما ذكره من ترجموا له من أنه ادعى النبوة في بعض قبائل الشام ، ويقول إنه إنما حاول إظهار علويته مما أدى إلى حبس والى حِمْص له ثم ردّ حريته إليه .

وأعجب بالدراسة ومولفها كثير من

قرائها حين نشرت بمجلة المقتطف ، لما فيها من تفصيل سيرة المتنبي وكشف جوانب كانت مجهولة فيه وفى شعره ، وكان محمود قبل تأليفه هذه الدراسة عن المتنبي كاتبًا مغموراً فأصبح كاتبًا مشهوراً. وبعد عام نشر الدكتور طه حسين كتابًا عن المتنبي نقده فيه الأستاذ محمود شاكر نقدًا عنيفًا فى اثنتي عشرة مقالة نشرها في جريدة البلاغ ، وأعاد نشر هذا النقد في السفر الثانى من كتابه عن المتنبي وأثبت فيه حواره مع الأستاذ سعيد الأفغاني حول نبوة المتنبي .

ويأخذ الأستاذ محمود شاكر نفسه بتحقيق أعمال قيمة في التراث العربي ويصبح علماً فيه، يبدأ بتحقيق الجزء الأول من إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، وهو في السيرة النبوية العطرة ، ويضم ٦٨٦ صفحة من القطع الكبير ، وقد أبدع فى تحقيقه ، وذيَّله بفهارس مفصلة ، شهرته فى التحقيق حين نشر كتاب " طبقات فحول الشعراء " لابن سلام نشرًا علميًّا دقيقا ، ونشر مع أخيه العالم الجليل المغفور له الشيخ أحمد شاكر ثلاثة عشر جزءا من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري، وانفرد بتحقيق الجزء ين الرابع عشر والخامس عشر ، وحقق في الحديث النبوي "كتاب تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار" وأخرج منه مسندين مهمين : " مسند علىّ بن أبي طالب " و"مسند عبد الله بن عباس " . ونشر بتحقيقه الجزء الأول من كتاب " نسب قريش ومناقبها " للزبير ابن بكار . وشارك الأستاذ الجليل عبد العزيز الميمنى الراجكوتى في تحقيق أشعار كتاب " الوحشيات "المسمى " بالحماسة الصغرى " لأبي تمام . وآخر تحقيقاته العلمية القيمة كتابا " أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني

وظل الأستاذ محمود شاكر منذ العشرينيات في القرن الحاضر يُتحف قراءه بعشرات المقالات في الصحف والمجلات، مثل : البلاغ واللواء والأهرام والدستور والرسالة والثقافة والمقتطف والهلال ومجلة العرب والمجلة والكاتب والكتاب. وبجانب مقالاته كان يتحف قراءة - من حين إلى آخر - بما ينشر من أشعاره . إذ كان شاعرًا جزل الشعر ، وأروع أشعاره " القوس العذراء " وهى ملحمة كبيرة ، بل ديوان تزيد صفحاته

عن ثلاثمائة بيت ، أوحاه إليه قصيدة للشمّاخ الشاعر المخضرم ، وصف فيها قوسًا وقوّاسها الصانع فى ثلاثة وعشرين بيتًا كان قد سوّاها وضنّ بها أن يبيعها . مع أنه كان بائسًا فقيرًا، ودعاه داعى الحج فاصطحبها معه حين خرج من موطن قبيلته في نجد إلى موسم الحج ، ورآها معه تاجر ثرىّ فأعجبته ، وساومه فيها . وفي لحظة ذهول رضي أن يبيعها له ، وغابت عن بصره مع التاجر ، فتحسَّر عليها أشد التحسر . وتأثر الأستاذ محمود شاكر بقصة هذه القوس وتصوير الشماخ لها . ولم تلبث أن ألهمته ملحمته أو ديوانه الفريد، بغوصه في أبيات الشماخ واستخراجه خباياها وأسرارها ، فإذا هو ينظم فيها ديوانًا حافلاً ، يُصور الحياة الإنسانية ونواميسها تصويراً رائعا .

وكان الأستاذ محمود شاكر يتمثل العروبة والإسلام تمثلاً عميقا ، وكان يصور هذا التمثيل فيما يكتب من مقالات ، ومثّله في كتاب مطول سنة ١٩٦٥ للميلاد جعل عنوانه :" أباطيل وأسمار "، صوَّر فيه صنيع دنلوب الإنجليزي حين كان مشرفًا على التعليم في مصر ، إذ حاول تفريغ الشباب المصري من معرفة تراث الأمة ، كما صوَّر صنيع المستشرقين في تغريب شباب الأمة ومفكريها، وفصلهم عن ماضيها العريق .

وكان الدكتور لويس عوض كتب مقالات عن أبي العلاء شيخ المعرة ورسالته "الغفران"، وزعم فيها خطأ أن فكر أبي العلاء ليس أصيلاً ، إذ أخذ فكره عن راهب في دير الفاروس باللاذقية درس الفلسفة وعلوم الأوائل، ضلله عن دينه. وأصلى الأستاذ محمود شاكر الدكتور لويس عوض في كتابه "أباطيل وأسمار " نارًا حامية من النقد في فصول كتابه ، وقال عنه إنه راعٍ للعامية، وبيَّن خطر هذه الدعوة ، كما بيَّن خطر ما ينشر في صحيفة الأهرام من آراء ، ونقد ترجمته لمسرحية الضفادع لأرسطوفان الإغريقي،موضحا أخطاءه في ترجمتها ومَسْخَه له في سخرية لاذعة .

ونشر الأستاذ محمود شاكر في سنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) رسالة اختار لها عنوانا:" في الطريق إلى ثقافتنا "، ألحقها بطبعة جديدة لكتاب المتنبي ، ثم رأى فى سنة ١٩٩١ م أن يعيدَ نشرها مستقلة . وهو فيها يجعل للصراع بين الإسلام

والغرب أربعة مراحل : مرحلة الفتوح الإسلامية ، فمرحلة الحروب الصليبية فمرحلة إكباب العرب على دراسة علوم الإسلام وترجمتها بحيث استحالت منارات له في مسالكه إلى العصر الحديث، ثم مرحلة سقوط القسطنطينية في أيدى الترك المسلمين وانهيار إمبراطوريتها على أيديهم وتغلغلهم في قلب أوربا . وانرى من حينئذٍ الاستشراق يحاول الوقوف على التراث الإسلامي،الذي هيأ للمسلمين انتصارهم على الغرب مرارا . ويجعل الأستاذ محمود شاكر الاستشراق تمهيداً وقرينًا للاستعمار الغربي ، ويقول : إنه كان عينه التي أبصر بها ديار الإسلام التي احتلها ، وإلا لَظَلَّ في عميائه ولم يستطع نهش ديار المسلمين . ويقول إنه هو والاستعمار والتبشير أسماء - في رأيه - لحقيقة واحدة .

ويذكر حملة نابليون الصليبية على مصر، وانفجار الثورة في القاهرة ضدها لعهد خليفتيه " كليبر، ومينو" ، مما اضطر الحملة إلى الفرار إلى البحر المتوسط وما وراءه . واعتلي عرش مصر محمد على، وأحاط القناصلُ والمستشرقون به وبأبنائه حتى حدثت كارثة الاحتلال الإنجليزي، ويقول: ماتوا في سنة ١٨٩٧ م حتى يسيطر دنلوب على التعليم في مصر ويعمل - بمكره وخبثه - على تفريغ الشباب المصري في المدارس تفريغا كاملا من تراثه الإسلامي، وكل ما يربطه من علائق أو صلات بهذا الماضى.

أيها السادة :

هذه كلمات موجزة عن سيرة الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر ، وثقافته ، وكتابه القيم عن المتنبي ، وتحقيقاته العلمية في التراث الإسلامي والعربي ومكانته الأدبية ، وديوانه البديع " القوس العذراء "،ودفاعه الضاري -طوال حياته- عن الإسلام والعروبة، دفاعاً صادقاً مخلصاً أشد الإخلاص .

أجزل الله مثوبته ، وأنزله منازل الأبرار الصديقين .

شوقى ضيف

رئيس المجمع

(قصيدة)

فى رثاء الأستاذ محمود محمد شاكر

للأستاذ الدكتور محمود على مكي

عضو المجمع

قضاءٌ وما للمرء فيه سوى الصَّبْرِ ... هجرتَ لها عِزَّ المناصب فاغتدى

وتسليمنا لله في الحُلْوِ والمُرِّ ... بها لَكَ عزٌّ خالدٌ أبَدَ الدهرِ

ترى أىُّ سِرٍّ لا سبيلَ لعلمه ... أبَنْتَ لنا معنى الكرامة شامخًا

وراء انطلاق الروح من رِبْقَةِ الأَسْرِ ... وكيف تكونُ الكبرياءُ بلا كِبْرِ

وقد قالها الشيخ المعَرِّىُّ:" إننا ... وأطلقتَ في دنيا العروبة صيحةً

بنوسَفَرٍ أو عابرونَ على جِسْرِ " ... تداعَتْ لها الأقطارُ مصراً إلى مصرِ

حياة كظلٍّ زائلٍ أو كَهَجْعَةٍ ... تَحَدَّيْتَ سلطان الطغاةِ وقهرهم

وإن راوغَتْ عنها مطاولةُ العُمْرِ ... بعَزْمَةِ مَشَّاءٍ على الشوك والجمرِ

* * * ... وأنت وحيدٌ لاسلاحَ تُعِدُّهُ

أمحمودُ إن ترحَلْ فروحُكَ لم تَزَلْ ... سِوى صفحةٍ بيضاءَ أو قلمٍ حُرِّ

تُطيف بنا من حيث ندرى ولا ندري ... وقُلْتَ لهم ما قال من قبلُ يُوسُفٌ

سنذكر ناديك الذي كان روضةً ... وقد سِيمَ إثماً بالكراهة والقَسْرِ

جَنَيْنا فنوناً فيه من ثمر الفكرِ ... أحبُّ إلىَّ السِّجْنُ مِمَّا عَرَضْتُمُ

وكنتَ به - من غير زَهْوٍ -معلمًا ... إذا وُطِئَتْ حرية القولِ والفكرِ

يُفيضِ علينا من تجاربه الكُثْرِ ... وفى قوسك العذراء أبلغ آيةٍ

إذا ما الجدال احتدَّ فيه شرعتَه ... نشرتَ بها الشمَّاخَ من ظُلْمَةِ القَبْرِ

لساناً كحدِّ السف أو مِبْضَعِ البَتْرِ ... وفى المتنبي شِمْتَ مخبوءَ نَفْسِهِ

ومن دونه وَجْهٌ يشفُّ بشاشةً ... كأنك من مكفونه مَوْضِعُ السِّرِّ

وقلبٌ حفيلٌ بالبراءةِ والطُّهْرِ ... سلكتَ طريقاً في مجاهل شعره

أمانةُ علمٍ قد تَجَشَّمْتَ حَمْلَهَا ... سلوك شعاع الشمسِ في مُلْتَقَى الذَّرِّ

وإنْ يَرَ فيها البعض فاقرةَ الظَّهْرِ

وجَلَّيْتَ من شيخ المَعَرَّةِ عَالَمًا
تَقَحَّمَ فيه جاهِلونَ بِلا خُبْرِ
" ضفادعُ في ظلماء ليلٍ تَجاوَبَتْ
فدلَّ عليها صَوْتُها حَيَّةَ البَحْرِ"
وما كنتَ فى تلكَ المعارك ظالمًا
ولكن خَصِيمٌ للخديعَةِ والمكْرِ
صَدَعْتَ بسيفِ الحقِّ باطِلَ إفكهمْ
كما انْجَلتِ الظلماءُ عن وضَحِ الفَجْرِ

* * *

ظللتَ على مَرِّ السنينَ مُحاربًا
نرى فيكَ فَرْسَ الليث أو هَجْمَةَ الصَّقْرِ

وقدآنَ أن تأوي إلي ظِلِّ أيْكَةٍ
تحوطكَ بالأفنانِ والورقِ الخُضْرِ
وحقٌّ لِطِرْفٍ طالما قد عَلَوْتَهُ
جَلَوْتَ به آيات نظمِكَ والنَّثْرِ
بأن يتملّى راحَةً بعد خَوْضِه
- بِغَيْرِ تَشَكٍّ - كلَّ مُعْتَرَكٍ وَعْرِ
رَضِيتَ جِوارَ اللهِ فَاهْنَأْ بِقُرْبِه
وَنَمْ وادِعَ المَثْوَى به يا " أَبَافِهْرِ "

* * *

محمود على مكي
عضو المجمع

كلمة الأسرة

للأستاذ فهر محمود شاكر

نجل الفقيد الراحل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده لا شريك لـــه ، خلـــق الإنسان علمه البيان ، آتاه الهَدْى القديم ، فسار على تلادجبلته مرة، وفسق عنـــها أخرى ، والصلاة والسلام على من أوتى جامع الكَلمِ وفَصْل الخطـــاب ، فنطـــق بلسانٍ عربي مبين، يكون ذكراً له ولقومه دَهْر الداهرين . ورضي الله عن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحســـان إلى يـــوم الدين.

وبعد

فقد فقدت الأمة العربية والإســـلامية في يوم الخميس السابع من أغسطس عـــام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين علمًا من أعلامها العظام ، ورجلا مـــن رجالهـــا الأشداء ، ذا عزيمة خذّاء ماضية لا تفـــل ولا تلين في الدفاع عن العربية والإســـلام مهما كلف هذا وعَانَى في سبيله . ذلـــك هو الأستاذ محمود محمد شاكر .

كان ، رحمه الله ، واحدًا من ســـــدنة اللغة الذين وهبوا أنفسهم لها ، فوهبتهم أسرارها. رجال لا تلهيهم الدنيا وزينتـــها عن حفظ هذه الأمة وتراثها من أن يعبث به عابث أو يبدل فيه حاقد أو حاســـد ، ذلك هو مجمع اللغة العربية هو حِصـــن العربية الحصين يحفظ تراثـــها ويحمـــى عربيتها من هجمات الغـــزاة وهمـــزات الشياطين ، فكل عضو به أمة وحـــده فى الدفاع عن العربية والإسلام، يقف علـــى أحد الثغور حافظًا لهذه الأمة عروبتـــها وإسلامها، مضحيًا بكل مرتخص وغـــالٍ في سبيل الذود عنها

فهذا الحصن الذى يقف برجاله أمـــام الأمواج الهادرة التى تريد أن تنقضّ علـــى العربية والإسلام فتهدمـــها، يتســـاقط فرسانه بعد طول جهاد وكفاح ، فيفـــني الجسد ويبقى التراث ، وما قاموا به مـــن فعل تنوء عن حمله أولو العصبـــة مـــن الرجال ، خالداً أبد الدهر ، وقد صـــدق القائل عنه إنه " يجمع الخالدين " فخلـــود العمل أبقي ذكراً وأفضل أثرًا .

قال محمود محمد شاكر ، رحمـــه الله

وأسكنه فسيح جَنَّاته ، فى مقدمة كتابه " أباطيل وأسمار " : إن هدفه هو الدفاع عن أمةٍ برمَّتها ، هي أمتي العربية الإسلامية، وجعلت طريقي أن أهْتِك الأسْتار المسدلة التي عَمِل من ورائها رجالٌ فيما خلا من الزمان ، رجال آخرون قد ورثوهم فى زماننا ، وهَمُّهم جميعًا أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كلَّ الغلبة على عقولنا ، وعلى مجتمعنا ، وعلى حياتنا ، وعلى ثقافتنا . وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذي بناه آباؤنا في قرونٍ متطاولة ، وصَحَّحوا به فساد الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية، والأدبية والأخلاقية ، والعملية ، والعلمية والفكرية ، وردُّوها إلى طريق مستقيم علم ذلك من علمه، وجَهل ذلك من جَهله" .

وهو بهذه الكلمات القلائل لا يعبر عن رأيه وحده،بل عن رأي كل حافظ لثغور هذه اللغة مدافعٍ عن أمته ومنافحٍ عن تراثه ، فهؤلاء الرجال هم منارات السبيل وأعلام الطريق يهتدي الناس بهديهم ويستنيرون برأيهم ، وقد كان - رحمه الله- واحدًا من أعضاء هذا المجمع الخالد يسيرون جميعاً فى طريق واحد لهدف واحد .

باسم أسرة الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر ، رحمه الله ، نشكر المجمع على كريم تفضله بإقامة هذا التأبين لواحد من أعضائه ، فالشكر له ممثلا فى رئيسة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف وللحاضرين من الأعضاء والضيوف جزيل الشكر وخالص التقدير على ما تكبدوه من مشقة الحضور ، رغبة منهم فى المشاركة لإحياء ذكرى حارس من حراس اللغة رحل عن عالمنا مخلفا تراثا لا ينفد وعلما لا ينضب ، وسوف يخلفه في هذا الصرح العتيد رجال يسيرون بسيره ويهتدون بهديه .

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته ، وأنزله منزل صِدق بين الأنبياء والصديقين والشهداء ، وحسن أولئك رفيقا .

فهر محمود محمد شاكر

رابعًا ـ تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي
عضو المجمع

في الساعة الثانية عشرة من ظـــهر يـــوم الاثنين ٢٩ من شعبان سنة ١٤١٨هـــ الموافق ٢٩ من ديسمبر ســـنة ١٩٩٧م ، أقام المجمع حفلاً لتأبين المرحوم الأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي عضو المجمع . وهذه هي الكلمـــات الـــتي ألقيـــت في الحفل:

كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع
في وداع المرحوم الأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي
عضو المجمع الراحل

أيها الأخوة الزملاء :

نجتمع اليوم لتأبين الأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي عالم الطب المعروف وعضو المجمع الراحل ، الذي استأثرت به رحمة الله. تغمد الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جناته، وألهم آله الصبر والسلوان .

الزملاء المجمعيون :

سيداتي ، سادتي :

إنه ليعز عليَّ أن أقف لأودع صديقًا علمًا شامخًا من أعلام كلية الطب والمجمع اللغوي، ومهما أمَّلنا لمن نودهم ونقدرهم حق قدرهم العلمي أن يمتد بهم العمر وتطول آجالهم نفتقدهم فقيدًا عزيزًا إثر فقيد، وتلك هي الدنيا، لكل إنسان فيها عمر مرسوم وميقات محتوم" فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون". ولا نملك إزاء الراحلين السابقين منا إلا التسليم بقضاء الله الذي لا رادَّ لقضائه وَلا معقِّب لحكمه ومشيئته .

كان الأستاذ الدكتور أبو شادي الروبي - طيب الله ثراه - طبيبًا موسوعيًا فذًا قلما يجود الزمان بمثله ، فهو طبيب وفيلسوف وعالم ولغوي وموسيقي غزير المعلومات في كل فرع من فروع المعرفة ، ظفر به مجمع اللغة العربية ولجنته الطبية في سنة ١٩٧٢م إلى أن لبَّى نداء ربه ، وظل في هذه السنوات الطوال البالغة خمسًا وعشرين سنة يغدو إلى المجمع في جلساته الأسبوعية كل يوم اثنين لمناقشة علمائه المجمعيين في ما وضعوا للمصطلحات العلمية العربية في كل علم وفن من مقابلات وتفسيرات عربية ، وقلما كانوا يختلفون معه لذهنه الثاقب ورأيه الصائب.

وكان يعكف في اللجنة الطبية المجمعية مع مقررها الأستاذ الجليل الكبير الدكتور حسن علي إبراهيم والأستاذ الدكتور النابه محمد عماد الدين فضلي - لمدة جلستين أو ساعتين أسبوعيًا - على نقل المصطلحات الطبية الغربية إلى اللغة العربية مختارين لها

دائمًا مقابلات وتفسيرات فصيحة دقيقة ، يرجعون فيها إلى علمهم الواسع بالعربية واشتقاقاتها الكثيرة ، كما يرجعون إلى أسلافهم من أطباء العرب ومؤلفاتهم .

واشتهر الدكتور أبو شادي الروبي بأنه كان يكاد يحفظ موسوعة ابن سينا الطبية المسماة باسم القانون . وقد أخرجت اللجنة الطبية الموقرة حتى الآن ثلاثة أجزاء من معجمها الطبي النفيس ، وإن المجمع اللغوي ليفاخر بهذا المعجم الطبي الفريد، لا المعاجم الطبية وحدها التي وضعها علماء وأطباء أجلاء في القرن العشرين، بل أيضًا جميع المعاجم العلمية في القرن؛ لتميزه باختياره مصطلحات عربية دائمًا،وندرة ما يعربه من مصطلحات غربية بنطقها الأجنبي بينما تكتظ معاجم طبية وعلمية متعددة بتعريب المصطلحات الغربية بنطقها في لغاتها مع إبدال حروفها اللاتينية بحروف عربية .

ومما يذكر للمغفور له الدكتور أبي شادي الروبي في المجمع بالحمد والثناء أنه كان عضوًا بارزًا في لجنة ألفاظ الحضارة ، وقد أنجزت أخيرًا معجم الموسيقي مع خبيرة اللجنة الدكتورة عواطف عبد الكريم، وكان للدكتور الروبي فضل غير قليل في صقل مصطلحاته العربية المقابلة للمصطلحات الموسيقية الغربية . ولعلي بهذه الكلمات الموجزة صورت ما للدكتور أبي شادي الروبي في المجمع من أعمال علمية ولغوية قيمة ، وإنها لتسجل له في صحف المجمع بالفخر على مدى الدهر .

وللدكتور أبي شادي الروبي عمل رائع يتصل بأعمال المجمع ومؤتمراته السنوية ، وهو "محاضرات في تاريخ الطب العربي"، وهي قسمان : محاضرات بالعربية ومحاضرات بالإنجليزية ، وأولى محاضراته بالعربية: محاضرة بديعة عن التراث الطبي العربي . ويقول إنه يتميز بأربع سمات ، السمة الأولى عالميته في المنبع والمصب فقد كان قبله طب كل أمة قديمة خاصا بها ، وعرف أطباء العرب كل ما كان لدى الأمم القديمة وخاصة اليونان من معارف طبية ، وأصبح للعرب طب ازدهر قرونًا متعاقبة ، وصب في أوربا وجامعاتها عبر صقلية والأندلس قرونًا متوالية . وبذلك كان الطب العربي عالميًا في منبعه ومصبه. والسمة الثانية للطب العربي في رأي الدكتور الروبي أصالته ويقول : يخطئ من

يتهمون العرب بأن دورهم الحضـــاري في الطب وغيره كان دور الناقل وأنهم عاشـوا عالة على الفكر اليوناني . وذكر الدكتـور الروبي لطائفة من كبـار أطبـاء العـرب إضافاتهم العلمية القيمة في رصيد المعرفـة الطبية في مجال الطب الإكلينيكي .

ويقول الدكتور الروبي : ظل تعلم الطـب في الغرب معتمدًا على أمهات كتب الطب العربي حتى نهاية القرن السـادس عشـر الميلادي وشطر من القرن السابع عشـر . والسمة الثالثة للطـب العـربي - في رأي الدكتور الروبي - أنه كان يعتمـد علـى التجربة وملازمة المرضي والتفقد لأحوالهم، وطبق أطباء العرب مبدأ طبيًا - يظن أنـه حديث - وهو استعمال العينة الضابطـة ليعرف منها جدوى العـلاج ، وينقـل الدكتور الروبي فقـرة عـن المستشـرق الإنجليزى براون كتبها في تاريخه للطـب العربي يقول فيها :" لقد أفلح العـرب في التعبير بنجاح عن المصطلحـات الفنيـة اليونانية .. واللغة العربية فضلا عن وجـود العدد الوافر بها من المفـردات التشـريحية والطبية العربية الصحيحـة قـادرة علـى تكوين مشتقات لها دلالات خاصة مـن جذور الكلمات تصبح فـور تكوينـها مفهومة . ومن هذا القبيل وجود صيغـة خاصة في العربية للدلالة علـى الألم هـي صيغة (فُعَال) ، فهذه الصيغة تتخذها أسماء معظم الأمراض والعلل: كالصُّداع والزُّكام والجُذام والدُّوار ... وهكذا يتضح أن اللغـة العربية علمية صالحة صلاحية تامة لوضـع مصطلحات فنية ملائمة ، وقـد صنعـت ذلك فعلا للعالم الإسلامي كله سواء كان لسان القوم اللغة العربية أو الفارسـية أو التركية ... إلخ .

وكأني بعالمنا الكبير الفذ الدكتـور أبي شادي الروبي يرد بهذه الفقرة للمستشـرق (براون) على من يقولون من أبناء العربيـة خطأ إنها لا تستطيع اليـوم أداء العلـوم الغربية ، وهذا المستشـرق الإنجلـيزي لا يقول إنها تؤديها فحسب ، بل يقول إنهـا هي التي دفعت اللغات الإسلامية المعاصرة، مثل التركية إلى أدائها للعلوم الغربية .

والسمة الرابعة للطب العربي - في رأي الدكتور الروبي - الموسوعية إذ كان أطبـاء العرب يحرصون على تثقيف أنفسهم ثقافـة عامة بأكثر العلوم والمعارف في عصورهم ، ويستدل على ذلك بتصنيف متواتر عنـد

العرب لأطبائهم ، إذ يقسمونهم قسمين : فلاسفة أطباء، وأطباء فلاسفة ، ويقول إن الأولين - وهم الفلاسفة الأطباء- درسوا الطب كجزء من المعرفة لا غنى عنه لطالب الفلسفة، ويمثل لهم بابن سينا الذي حفظ القرآن في العاشرة،وتفقه في الدين والرياضة والمنطق والفلك ، وفي السادسة عشرة تعلم الطب وفاق فيه الأوائل والأواخر ، ويذكر الدكتور الروبي أنه ألف في علوم الدين واللغة والفلسفة والهندسة والفلك وطبقات الأرض والموسيقى . وألف في الطب موسوعته الضخمة : "القانون" من مليون كلمة ، ولخصها لتلاميذه شعرًا في أرجوزة من ألف بيت . ويمثل أيضًا لهذا الصنف من الفلاسفة الأطباء بابن النفيس الطبيب المصري مكتشف الدورة الدموية الثانية وبابن زهر الأندلسي صاحب الموشحات الشعرية المشهورة . ويلم بالقسم الثاني من أطباء العرب وهم الأطباء الفلاسفة ، ويمثل لهم بالرازي ويقول إن الطبيب العربي كان يحرص على تثقيف نفسه ثقافة عامة بأكثر معارف عصره .

وينهي الدكتور الروبي هذه الدراسة الدقيقة للتراث الطبي عند العرب بقوله : إن تراث العرب في الطب كان مفخرة ، ولا يزال قادرًا على أن يمنحنا قيمًا للحاضر والمستقبل معًا .

وجعل الدكتور الروبي موضوع محاضراته الأولى في القسم الإنجليزي : "الشرق يلتقي بالغرب" ردًا على كلمة الشاعر الإنجليزي كبلنج:"الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا أبدًا. وقال الدكتور الروبي عن الطب العربي:" تاريخ الطب وأنه مر بثلاثة أطوار:

طور كان العرب ينقلون فيه عن اليونان علومهم وفلسفتهم ، وطور ثانٍ ازدهر فيه الطب العربي، وطور ثالث كان ينقل فيه الطب العربي إلى اللاتينية. ويقول الدكتور الروبي: إن الغرب نقل أمهات كتب الطب المهمة مثل كتاب الحاوي للرازي المشتمل على علوم الطب ، ونقل كتاب القانون في الطب لابن سينا الذي ترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي ، وظل يطبع في أوربا عشرات المرات حتى القرن السابع عشر ، ومثله موسوعة الجراح الكبير أبي القاسم الزهراوي في الطب والجراحة وبها كثير من رسوم الآلات الجراحية وأكثرها من اختراعه . ويقل الدكتور الروبي عن كتاب

" تأثير الإسلام في أوربا بالقرون الوسطى" لمونتجومري الأستاذ بجامعة إدنبره قوله عن إنجازات العرب في العلوم والفلسفة : "حينما يتعرف المرء على مدى كتابات العرب وتجارهم وفكرهم يتأكد أنه لولا تأثيرهم على الغرب في العلم والفلسفة ما أمكن أن يصل إلى ما وصل إليه في تقدمه". يقول : "ولم يكن العرب مترجمين للفكر اليوناني فقط ، بل كانوا أيضًا مساهمين حقيقيين فيما حملوا عن اليونان بحيث مارسوه وهذبوه وأضافوا إليه تطبيقاتهم مما تعلمته عنهم أوربا وجعلها تنفذ إلى تقدم هائل" . وبجانب كل ما قدمت كان الدكتور الروبي موسوعيً المعرفة والثقافة ثقف نفسه بأكثر معارف عصره من العلوم واللغة والموسيقى والطب، وشغل نفسه في شطر كبير من حياته ببيان الفروق بين مناهج العلماء القدماء والمحدثين استقرائية واستنباطية وبين مناهج الفلاسفة قديمًا وحديثًا على نحو ما يتجلى في كتابيه : "فلسفة العلم قديمًا وحديثًا "، و"من منطق الفلاسفة إلى منطق الأطباء " . وهو يعرض في الكتابين أدق الدقائق العلمية والفلسفية.

وتدرج الأستاذ الدكتور أبو شادي الروبي في وظائف كلية الطب بقصر العيني، حتى أصبح رئيس مجلس قسم الأمراض الباطنية ، وله أعمال طبية عظيمة ، مثل تحديث طب الجهاز الهضمي وإدخال الوسائل الحديثة في تشخيص الأمراض وخاصة مرض الكبد وأمراض مصر المتوطنة . ولغزارة علمه بالطب وفروعه تشرفت بعضويته فيها مجالس وجمعيات ولجان طبية متعددة تكون سجلا حافلا له بما قدم للطب والأمة من خدمات طبية كثيرة . وله عشرات البحوث في مجال الطب الباطني نشرت في الدوريات المصرية والعالمية ، سوى مؤلفاته الفريدة في طب المناطق الحارة والأمراض المعدية والجهاز الهضمي والكبد . وان عظيمًا في ممارسته العملية للطب وتشخصيه لعلل المرضى ونفوذه إلى العلاج المنقذ الشافي . وما من مريض كان يدخل عيادته متشائمًا يائسًا إلا خرج منها متفائلا آملا ، وكان يعرف أثر العوامل النفسية في المريض ، وكان لذلك يعطيه دائمًا الثقة في شفائه من مرضه.

أيها السادة :

كان الدكتور أبو شادي الروبي دائمًا رقيق الحاشية ، حلو الشمائل ، وكان يتميز بطمأنينة النفس وصفاء العقل وطلاقة الوجه وسداد الفكر وصواب الرأي . وقد أدى للطب والفكر الفلسفي وللعربية ومصطلحاتها الطبية والحضارية والموسيقية أعمالا قيمة باقية تجعله ينتقل من دارنا الفانية إلى دار الخلود راضيًا مرضيًا . وسلام الله عليه يوم فقدنا ، ورفع الله منزلته في أخراه ، وجعل جنة الفردوس مسكنه ومثواه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شوقي ضيف

رئيس المجمع

كلمة المجمع في تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور أبي شادي الروبي

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

العالم الأجل الأستاذ الدكتور شـــوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية :

العلماء الأجلاء أعضاء المجمع :

سيداتي وسادتي :

كم يشق علينا أن نجتمع اليوم لتأبين فقيدنا العزيز عضو المجمع المغفور لـــه الأســتاذ الدكتور أبو شادي الروبي الذي اختطفتــه المنية فجأة، وكان بالأمس القريب بيننـا في هذا المحراب ملء السمع والبصر، حياة دافقة تفيض بالعلم والعرفان - ولكن هذه سُـــنة الحياة، ما نحن إلا ودائع في هـــذه الدنيـــا تُسترد إلى بارئها في ميقات يـــوم معلـــوم وتمضي إلى الرفيق الأعلى لتحيـــا حيـــاة أخرى هي خير وأبقى . وكل حي إلى فناء ولكل إنسان أجل محتوم وقـــدر مقـــدور "فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ســاعة ولا يستقدمون ". صدق الله العظيم .

سيدي الرئيس :

سيداتي سادتي :

يعلم الله كم أشفقتُ على نفسي عندمـــا عُهد إلي أن أُعدَّ كلمة المجمـــع في تـــأبين الراحل الكريم، لأني استشعرت العجز عن الحديث عنه كما ينبغي أن يكون الحديـــث عن عالم موسوعيٍّ عظيم، كما خشيت ألا يسعفني البيان لأعبر أصدق تعبير عما يعتلج في الصدور من مشاعر الأسى على فـــراق هذا الأخ العزيز ، أو أصور لكم قدره الحق رائدًا من رواد النهضة العلمية والطبيـــة في مصر .

ولكني ســـأحاول قـــدر اســـتطاعتي ومكني أن أقوم بهذه المهمة ، وأســـتبيحكم عـــذرًا إن أنـــا قصـــرت في الإحاطـــة بكل جوانب هـــذه الشـــخصية الفـــذَّة وأعمالها الخالدة . وإذا كان مجمعنا الموقـــر قد استنَّ هذه السُّـــنن الحميـــد وهـــو أن يكرم ذكرى أعضائه الذيـــن مضـــوا إلى رحاب الخالدين وأن ينشر لهم صفحـــات ناصعة وضّـــاءة مـــن تاريخـــهم المجيـــد وإنجازاتهم الرائدة، لنستشف من خلالهـــا الحكمة، ونستوحي منها العلم والمعرفـــة، ونـــرى فيـــها المثـــل الرفيـــع والقـــدوة الصالحة، فإن المجمع بذلك أيضًا يضـــرب أروع الأمثال في الوفـــاء في زمـــن عـــزَّ فيه الوفاء .

سيدي الرئيس - سادتي العلماء :

سيداتي وسادتي :

لستُ في حاجة إلى القول إن مصر فقدت برحيل الدكتور أبي شادي الروبي قمة من قممنا السامقة، وعالمًا جليلاً من علمائنا الأعلام، سطع نجمُه وتألق في ميادين الطب والعلوم والثقافة حتى أصبح ملفت الأنظار في كل مكان، في غزارة علمه وعمق فكره وسعة أفقه، وغدا بذلك نسيج وحده بين أقرانه من العلماء وأساتذة الطب المعاصرين.

عمل جاهدًا طوال قرابة نصف قرن ينشر نور العلم ويُعلي مناره، ويأخذ بيد الطلائع من شباب علمائنا وأطبائنا في رحاب الجامعة والمؤسسات الطبية والعلمية الأخرى، ويُعني بتنشئة أجيال منهم يعلمهم ويدربهم لتتَّقِد فيهم جذوة العلم والعرفان . وقد مضى يحقق هذا الهدف، وما كان ليميل عنه إصبعًا إلا ليميل إليه ميلا .

سيدي الرئيس - سيداتي وسادتي :

عرفتُ الفقيد العزيز قرابة ثلاثين عامًا في رحاب الجامعة، وفي الجمعيات العلمية والثقافية، وفي هذا المحراب حين توثقت أصرة المحبة والمودة بيننا، وكان خلال هذه السنوات مثلاً يحتذى في العطاء والوفاء والعمل المثمر البناء .

ولد الفقيد العزيز في الخامس من شهر مارس عام ١٩٢٥م في حيّ القلعة بين مساجده وآثاره الإسلامية والعربية، فنشأ نشأة طيبة تمسك فيها بأهداب الدين وفضائله، عاش في بيت علمٍ وأدبٍ وكرم في المحتد . فقد كان جده المرحوم محمد أبو شادي المحامي ممن رافقوا سعد زغلول في حياته السياسية - والفقيد ابن وحيد تكبره ثلاث شقيات وقد سُمي أبا شادي تيمنًا باسم خاله الدكتور أحمد زكي أبو شادي عميد كلية الطب بجامعة الإسكندرية - وهو الأديب الشاعر الطبيب الشهير مؤسس مدرسة أبولو مع الدكتور إبراهيم ناجي .

التحق الفقيد بمدرسة الحلمية الابتدائية وما أن أتم دراسته بها حتى مضى إلى مدرسة الحلمية الثانوية ومدرسة بمباقادن الثانوية، وهنا تفجرت ملكاته وتبدَّى ذكاؤه اللماح، وولعه الشديد باللغة العربية الذي بدأ في سن مبكرة، وكذلك تفوقه في اللغة الإنجليزية، فحصل على جائزة الثقافة العامة في اللغة الإنجليزية وهو في الرابعة

عشرة من عمره، ثم على جـــائزة الأدب التوجيهي في اللغة العربية لطلبة التوجيهيـة (الثانوية العامة) عام ١٩٤١م، وكـــانت حول مسابقة في قراءة عشرة كتب لأدبـاء معاصرين منها "الأيام " لطـــه حســين ، و"المنتخبات" للطفـــي الســيد و"وحـــي الرسالة" للزيات ، و" فيض الخاطر " لأحمد أمين ، و" تحرير المرأة " لقاســـم أمـــين ، و"أهل الكهف " لتوفيق الحكيم ، و"ديوان إسماعيل صـــبري " - وقـــد امتحنـــه في التوجيهية المرحوم الدكتور طـــه حســين والمرحوم الأستاذ على الجارم - واســـتمر ولعه باللغة العربية حتى اليوم وكذلك نهمه الشديد في القراءة في شتى فروع المعرفة من طب وعلم وثقافة وفلســـفة وموســيقى وتاريخ ولغة .

وبعد أن أنهى الدكتور الروبي دراسـته الثانوية بتفوق، حيـــث كـــان خـــامس التوجيهية عام ١٩٤١م التحق بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) ونـــال درجة بكالوريوس العلـــوم في الكيميـــاء والأحياء عام ١٩٤٦م، ثم انتقل إلى كليـــة الطب وتخرج فيها عام ١٩٥٠م وحصـــل على درجـــة البكـــالوريوس في الطـــب والجراحة، ثم واصل دراسته العالية فحصـل على دبلوم طب المنـــاطق الحـــارة عـــام ١٩٥٢م، ثم على دبلوم الأمراض الباطنـــة عام ١٩٥٣م، ثم حصـــل علـــى درجـــة الدكتوراه في طب المناطق الحـــارة عـــام ١٩٥٥م، عين بعدها مدرسًا بكلية الطـــب عام ١٩٥٦م ومضى في مـــدارج الرقـــي أستاذًا مساعدًا فأستاذًا ورئيسًـــا لقســـم الأمراض المتوطنة ولمجلس أقســـام الباطنـــة بكلية طب جامعة القاهرة وذلك حتى عام ١٩٨٥م، ولما بلغ السن القانونية (الستين) أصبح أستاذًا متفرغًا عام ١٩٨٦م وظـــل يشغل هذا المنصب حتى لقي وجه ربه .

وإبّان حياته الجامعية سافر في عـــدة بعثات ومهمات علمية للدراسة،واكتساب الخبرة العلمية، وبصفة خاصة في أمـــراض الجهاز الهضمي حـــتى غـــدا مـــن رُوّاده وأساطينه في مصر والعالم العـــربي. ففـــي عامي ١٩٥٩م و ١٩٦٠م توفـــر علـــى دراسات أمـــراض الجـــهاز الهضمـــي في بريطانيا ، ودرس النظـــائر المشـــعة عـــام ١٩٦٤م بالقاهرة وعلـــوم المناعـــة عـــام ١٩٦٦م ببـــيروت ، ومناظـــير الألـيـــاف الزجاجية الضوئية في طوكيو عام١٩٦٩م،

والوسائل الحديثة في تشـــخيص وعـــلاج أمراض الجهاز الهضمي ببرستول بـــإنجلترا عام ١٩٨٣م ، كما شارك في المئات مـــن المؤتمرات والندوات، ومجموعات العمـــل العلمية العالمية.

وقد ساعد ذلك في إغنـــاء معارفـــه الطبية العلمية والعملية، فأنشأ مدرسة يعتد بها في طب المناطق الحارة، وأشرف علـــى العديد من طلاب الدراسات العليا لدرجتي الماجستير والدكتوراه في هذا المجال، وعمل على تدريب الكثيرين منهم.وكان للدكتور الروبي نشاط بحثيٌّ كبير، فقد نشر ثمـــانين (٨٠)بحثًا علميًّا في مجالات الطب الباطني، وبخاصة في أمراض المناطق الحارة والحميات، وأمراض الجهاز الهضمي والكبد.

وقد ألّف الدكتور الروبي عددًا مـــن الكتب في الطب وتاريخه، كتبها بلغة عربية اتَّسمت بالسلاسة والوضـــوح والمكنـــة والاقتدار، منها كتاب عن طب المنـــاطق الحارة والأمراض المعدية ، وكتـــاب عـــن الكبد والمرارة والبنكريـــاس وأمراضـــها وعلاجها والوقاية منها ، وكتـــاب عـــن الجهاز الهضمي وأمراضه والوقاية منـــها - وعن تاريخ الطب نشر كتاب " الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عنـــد العـــرب " وكتاب "محاضرات في تاريخ الطب العربي" ويضم إحـــدى عشـــرة محـــاضرة منـــها "الأرجوزة في الطب لابن سينا ،" والتراث الطبي عند العرب " و " الطب الروحـــاني للرازي " و "ابن النفيس فيلسوفا". كمـــا اشترك في مؤلف كبير عن تاريخ الطـــب في مصر ضمن " موسوعة تـــاريخ الحركـــة العلمية في مصر " التي أصدرتها أكاديميـــة البحث العلمي - ومن فرط ولعه بتـــاريخ الطب عند العرب فإنه كما يقـــول عنـــه أستاذنا الدكتور حسن إبراهيـــم عندمـــا استقبله عضوًا بالمجمع - " يكـــاد يحفـــظ كتاب " القانون في الطب لابن سينا عـــن ظهر قلب "، وشارك أيضًـــا في تحقيـــق "الكليات " في الطب لابن رشد - كمـــا كتب العديد من المقالات والدراسات منها " الطب عند المســـلمين " في موســـوعة الحضارة الإسلامية ، " نحو طب متكامل " و " مستقبل الإنسان "، و"ابن رشد طبيبًا" و"حركة الترجمة وتعريب الطب " وغيرها. وكذلك أعد مقررًا شاملاً عن تاريخ الطب قام بتدريسه سنين عدة لطلبة كليات الطب بجامعات القاهرة وأسيوط وقناة السويس .

ومن إنجازاته البارزة إنشـــاء وحـــدة مناظير وفحوص الجهاز الهضمي والكبـــد بكلية الطب بجامعة القـــاهرة ومستشـــفى قصر العيني، وعمل على تطويرها وإدارتهـــا وهي أكبر وحدة من نوعـــها في منطقـــة الشرق الأوسط، تفحص أكثر من عشـــرة آلاف مريض سنويًا . وقـــد درس فيـــها مئات الأطباء من مصر والبـــلاد العربيـــة الإفريقية، وهو أول من أدخـــل مناظـــير الجهاز الهضمي في مصر، وكان أول مـــن اشترى منظارًا للجامعة على نفقته الخاصة، وأهداه للكلية والقسم - ورفض أن يكـــون العمل بالمنظار وسيلة للكسب في عيادتـــه الخاصة وكان ذلك فيما أعتقد انطلاقًا من نفس أبية شماء، تموج بفيض من نـــوازع القناعة والخير .

سيدي الرئيس: سادتي العلماء :

إذا كان الدكتور الروبي طيب الله ثراه قـــد بلغ شأوًا بعيدًا في ميدان الطب ، وتألق بين أقرانه المعاصرين حتى غدا من أعزرهم علمًا وأعمقهم أثرا، ومـــن أرفعـــهم منـــــزلة وقدرًا، فإن نشاطه وفكره امتدَّا إلى آفـــاق رحبة من المعارف الإنســـانية، مـــن أدب وثقافة وفلسفة وفن ولغة وتراث علمـــــي عربي - كان شغفه بالأدب كبـــيرًا، فـــهو يقول عن نفســـه: " كـــانت اهتمامـــاتي متعددة، وكان لي نزوع مبكـــر إلى الأدب، واشتغلت بالكتابة زمنًا حـــتى كـــدت أن أترك دراسة الطب لأعمـــل بالصحافـــة" (وكان قد مارسها محررًا بالقطعـــة بـــدار أخبار اليوم لعدة سنوات). ويستطرد قائلا: " كان عزائي في تلك الفترة القلقـــة مـــن حياتي كلمة قرأتها لأديب روسيا العظيـــم (شيحوف) وكان أيضًا طبيبًا ممارسًا قبـــل أن يكون أديبًا وجمع بين المهنتين ســـنوات أفادت فيها كل واحدة من الأخرى وكان (شيخوف) يقول في ذلك: "الطب زوجتي والأدب معشوقتي عندما أملُّ إحداها أقضي الليلة مع الأخرى ".

وهكذا عشت أيامي وليالي مـــوزع الولاء والعشق بين الاثنين وشـــيئًا فشـــيئًا تعددت المعشوقات، تطرق الأدب إلى الفن وتطلع العلم إلى الفلسفة - واليوم تأتي اللغة وعاء كل فكر ومفتاح كل قول تطالبه هي الأخرى بنصيبها، بل بأن تكون لها الخطوة الأولى" .

وكانت هذه كلمات منه يـــوم اســـتقباله عضوًا بمجمع الخالدين .

ومن اللافت للنظر حقًا أنه كان رحمه الله شديد الاهتمام بالفلسفة ومناهجـــها وكان رأيه أن قراءة الفلسفة بالنسبة لـــه أصعب وأعمق من قراءة كتب وبحـــوث الطب،وكان من أكثر من حبَّبه في الفلسفة كتب (ويل ديورانت) : كتابـــه " قصـــة الفلسفة "، وكتاب " الابتهاج بالفلســفة " و"المجتمع المنفتح وأعداؤه"،حيث تعلم منها طريقة البحث والمنهج العلمـــي في حريـــة النقـــد والإبـــداع وحريـــة التخمينـــات والتقنيات .

وفي محاضراته الرائعة عن" فلسفة العلم قديمًا وحديثًا "،التي ألقاها بالجمعية المصرية لتاريخ وفلسفة العلوم، ونشرت في كتـــاب استعرض في شمولية تاريخية باهرة قال: "العلم ما قبل أرسطو ، والمنهج الاستقرائي - الاستباطي الأرسطي - ثم تحفظات علـى أرسطو في القرن السابع عشر، ثم طبيعـــة المعرفة العلمية بين الشك واليقين في القـــرن الثامن عشر - ثم منهج البحث العلمـــي، المنهج الفرضي الاســـتنباطي في مواجهـــة المذهب الاستقرائي في القرن التاسع عشر - ثم يناقش آراء (كارل بوير) وأفكـــاره في إعادة صياعة المنهج الفرضي - الاســتنباطي في مواجهة المذهب الاستقرائي في مطـــالع القرن العشرين -"وفي خاتمة كتابه استعرض آراء بعض فلاسفة العلم والمنطق " كيـــف ينمو العلم ويتقدم " .

وقبل وفاته نشر رائعته الأخيرة " مـــن منطق الفلاسفة إلى منطق الأطباء "،وكانت هي أيضًا محاضرة ضافية ألقاها بالجمعيـــة المصرية لتاريخ وفلسفة العلوم عام ١٩٩٢م وفيها تبدَّى عمق فكره وقراءاته الواسعة في فلسفة العلم وعلوم المنطق - وقد شملـــت محاضرته عرضًا شائقًا عن منطق الفلاســفة ومنطق الرياضيين، ثم منطق العلماء، وأخيرًا منطق الأطباء الذي قال فيه: " إن المنطـــق يقوم بدور أساسي في الطب علمًا وعمـــلا أولا على المستوى النظري، أي في بنـــاء النظريات ومدى صحتها. وثانيًـــا علـــى المستوى العلمي كما في البحوث الطبيـــة وإجراء التجارب. وثالثا علـــى المســـتوى الأخلاقي، وهو موضوع حساس وشـــائك يرتبط بالقيم والمعنويات ، ويمتد من الديـــن إلى السياســـة مـــرورًا بعلـــوم التـــاريخ والاجتماع والاقتصاد، إلا أن أهم مجـــال لدور المنطق في الاستعمال اليومي للأطبـــاء الممارســـــيين هـــــو دوره في

التشخيص.وسأكتفي بهذه الكلمات عن ميول الفقيد الفلسفية ،التي ذكرها أيضًا وحللها في مكنة واقتدار أستاذنا الجليل الدكتور شوقي ضيف.وكتب عنها كذلك بجلاء زميلنا الأستاذ الدكتور كمال دسوقي بصحيفة الأهرام الغراء، وتكلم عنها الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي في كلمته في حفل تأبين الفقيد في لجنة الثقافة العلمية منذ أيام .

سيدي الرئيس، سادتي العلماء :

سيداتي وسادتي :

كان الدكتور أبو شادي الروبي أيضًا فارسًا في ميدان الثقافة العلمية أبلى فيها أحسن البلاء وعمل على نشرها بآرائه وأفكاره وكتبه ورسائله ومحاضراته في مختلف الهيئات والجمعيات. ولعل أهم إنجاز عملي في هذا المجال إسهامه الفعال في إنشاء لجنة الثقافة العلمية في المجلس الأعلى للثقافة، وكانت له فيها صولات وجولات في نشرها وتأصيلها وترسيخها بين جمهرة الشباب والمتعلمين، من منطلق واعٍ مستنير يرى في الثقافة العلمية أداة ودعوة للإنسان مؤداها أن يعيش عصره بمشكلاته وأحداثه العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وأن يكون له منها رأي وموقف . وأن ينفتح على آفاق رحبة من العلم والمعارف الإنسانية، وأن يلم بفنونه وتراثه وأمجاده، وأن يجعل من الأسلوب العلمي والتفكير العلمي المنهاج والنبراس . والأمل كبير أن القائمين على هذا الصرح الثقافي أن يواصلوا رسالته ويترسَّموا خطاه، وأن يرعوا " منتدى أصدقاء الثقافة العلمية " الذي أنشأه وتبنّاه .

كان الفقيد أيضًا ذا ولع شديد بالموسيقى ملكت عليه كل جوانحه منذ سنٍّ مبكرة، فالتحق بمعهد شولتز للموسيقى وهو طالب صغير ليتعلم العزف على الكمان، وقد واصل دراسته لهذا الفن الرفيع حتى برع فيه - وقد تأثر كذلك بالموسيقى الكلاسيكية الروسية لاحتوائها على أنغام من الشرق، مثل كلاسيكية كورساكوف "شهرزاد "، ومعزوفة " مغامرات عنترة " وقد دفعه هذا إلى السفر إلى روسيا وزيارة الجمهوريات الإسلامية لمعرفة تأثير الشرق في روائع الموسيقى الكلاسيكية الروسية - ومن الطريف أن من أوائل مقالاته في الصحافة وهو طالب كانت عن الموسيقار تشيكوفسكي،

واستعار عنوانها من مقولته الشهيرة " لـولا الموسيقى لَجُننتُ "، وكان تعليق الموسيقار محمد عبد الوهاب أن قراءة هـذه المقالـة يعطيه الإحساس بأنه يسـتمع إلى لحـن موسيقى جميل .

وإذا كان الفن الرفيع قد ملك عليـه جوانحه ووجدانه فقد ملكت اللغة العربيـة عليه كذلك عقله وجنانه في سن مبكـرة أيضًا، وقد ألمحت إلى ذلك في مطلع حديثي عندما فاز بجائزة الأدب في اللغة العربية ولما يبلغ الرابعة عشرة . وعندما شُغل بعد ذلك بالكتابة الصحفية وبـالقراءة الواسـعة في كتب الأدب والثقافـة وفي المتـون، وفي تأليف العديد من الكتب باللغة العربيـة - كانت هذه الخلفية سبيله إلى مجمع الخالدين عندما رشحه المغفور له الدكتـور محمـد كامل حسين عضو المجمع خبـيرًا بلجنـة الطب عام ١٩٧٢م ثم انتخـب عضـوًا بالمجمع عام ١٩٨٧ وظل خـلال هـذه السنوات الطوال يسهم بجهود بـارزة في إثراء الآلاف من المصطلحات الطبيـة، وفي إصدار معجم كبير في هذا المجال بـل وفي مصطلحات الموسيقى وألفـاظ الحضـارة أيضًا كان له فيها باع طويل .

ومع هذا العالم الموسوعي والطبيب الأديب المتعدد المواهب والثقافات لم يكن غريبًا أن يفور بعدة جوائز منـها جـائزة الدولـة التقديرية في العلوم الطبية عـام ١٩٩٣م ، ووسام العلوم والفنون من الطبقـة الأولى عام ١٩٨٥ ، وجائزة الجمعيـة المصريـة للجهاز الهضمي في استخدام المناظير عـام ١٩٧٤ ، ودرع نقابة الأطباء، والميداليـة الذهبية من وزارة الصحة عـام ١٩٨٦م، وذلك عدا الجائزتين في اللغتـين العربيـة والإنجليزية اللتين فاز بهما في مقتبل عمره . كما أفسحت له مختلف الهيئات والجمعيات والمجامع العلمية والطبية مكانا لعضويته بهـا أو رئاسته لها، وهي تربو علـى الثلاثـين عددًا سأذكر بعضًا منها على سبيل المثال : عضويته بمجمع الخالدين،والمجالس القومية المتخصصة،والمجمع العلمي المصري، ومجلس البحوث الطبية بأكاديمية البحث العلمـي والتكنولوجيا، ومعهد طب المناطق الحلوة، ومعهد تيودور بلـهارس،والهيئـة العليـا للأدوية.كما كان نائبًا لرئيـس المجمـع المصري للثقافة العلمية، وللجمعية المصريـة للكبد، وعضوًا باللجنة القومية،والجمعيـة المصرية لتاريخ وفلسفة العلوم،ومستشـار

الهيئات دولية،وممثلا لمصر في هيئة الصحة العالمية وغيرها.

سيدي الرئيس: سادتي العلماء: سيداتي وسادتي :

إذا كان سجل الراحل الكريم زاخرًا هكذا بهذه الصفحات الناصعة الوضاءة التي تعكس أعماله وإنجازاته الباهرة ، وإذا كان تاريخ الطب والعلم والثقافة في مصر حين يُكتب سيكون الفقيد من معالمه الشامخة ودعائمه الراسخة،فإنه أيضًا كان على خلق عظيم .

كان طيِّب القلب، دمث الطبع، حلو الشمائل والسجايا، رفيع النفس، رقيق الحاشية،جم التواضع، وعف اللسان، سمحًا في قوله وعمله،سمحًا في لقائه وحديثه، سمحًا في أخذه ورده، كان خيِّرًا وكريمًا مع مرضاه،عطوفًا ودودًا،وخدومًا إلى أبعد الحدود.

أيها الراحل الكريم :

لقد مضيتَ فجأة إلى رحاب الخالدين ويعلم الله كم تفطَّرت عليك قلوب وسالت عليك دموع ، مضيتَ بعد أن قدمتَ لوطنك أجلَّ الأعمال، ونشَّأتَ أجيالاً من أبنائك وحواريِّيك، سوف يترسَّمون خطاك، ويسيرون على نهجك ويواصلون رسالتك الخالدة ، ولن ننسى أنك كنت لنا في هذا المحراب إشعاعًا وإشراقًا؛ نستمتع بطلاوة حديثك وعمق فكرك وأصالة علمك ورجاحة عقلك .

أيها الراحل الكريم :

أرحلت حقًا عن مجالس علمنا
كلا لذلك لن أقول وداعًا
كيف الوداع وأنت باق بيننا
علْما أصيلا بنيت منه قلاعا
كنت الكلام العذب في أعماقنا
نمضو إليه نمتع الأسماعا
قد مجدوا فيك الأصالة والنهى
وخلائق علوية وطباعا
وعزيمة جبارة وركانة
لماحة وتوقدا لماعنا
أزحت عنا عبء كل وجيعة
تأسو الجراح تضمد الأوجاعا

رحمك الله أيها الزميل العزيز رحمة واسعة وأنزلك منازل الأطهار والأبرار فقد كنت في الحياة نورا يهدي الناس سواء السبيل وستظل في الممات ذكرى تنفع المؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود حافظ

نائب رئيس المجمع

كلمة الأسرة للسيدة زينب الروبي

شقيقة الفقيد

سيدي الرئيس :

أرجو أن يلتمس لي السادة الكرام أسلطين العربية العذر في عدم إلمامي باللغة العربية؛ لأنني مهما حاولت التعبير بها عما أحس فإنني مقصرة أمامكم .

والذي أود أن أبدأ به حديثي نحو الراحل العزيز ، أن كل ما ذكره السادة الأفاضل الذين ألقوا كلماتهم نحو أخي صادق كل الصدق .

ويحضرني آخر لقاء كان بيني وبينه - رحمة الله عليه - وكان هذا اللقاء قبل أسبوع من رحيله ، حيث كلفه الملك فهد ابن عبد العزيز ملك السعودية بافتتاح المركز الثقافي الذي أنشأته المملكة العربية السعودية "بجبل طارق" في المملكة المغربية.

والذي لفت نظري في هذا اللقاء أنه -رحمه الله- أخرج ورقة نقدية فئة خمسة جنيهات استرلينيه،على أحد وجهها صورة للملكة "إليزابيث"،وعلى الوجه الآخر فارس عربي بسيفه والحصون العربية خلفه حتى نعلم أن العرب لا تزال آثارهم موجودة حتى الآن في جنوب غرب أوروبا وأقصد بها " الأندلس " سابقًا . ثم قلت له أرجو أن تعاهدني على أننا نقضي الإجازة الصيفية القادمة إن شاء الله في الأندلس ؛ لأنني قرأت عنها كثيرًا ، ولم أرها حتى الآن.

ثم غادرني على أن نلتقي بعد أسبوعين، لأنه كان يعزم الذهاب إلى الإسكندرية ، فكانت متعته أن ينزل إلى البحر ويمارس العوم في شاطئ ميامي حتى يصل إلى الجزيرة ، وكان ينافس الشباب في هذه المتعة حتى يطمئن على صحته .

ومن متعه أيضًا متعة القراءة ، فكان لا يخلو إلى النوم قبل أن يقرأ نحو ساعتين . ويؤيد ما أقول أنه عندما سافر إلى أمريكا نزل ضيفًا على " نجلي " ، ثم رجع بشلاث شنط مليئة بالكتب ، فلما اكتظت الشقة بالكتب اضطر إلى أن يستأجر شقة أخرى حتى يقتني فيها ما يمتلكه من الكتب والدوريات العلمية وما إلى ذلك .

وستهدى هذه الكتب جميعًا إلى قصر العيني لتكون في مكتبة تحمل اسمه .

أما الأشرطة الموسيقية التي كان يقتنيها، لأن الموسيقى كانت من أولى هواياته ، فإن السيدة الدكتورة سامحة الخولي ستتفضل بإيداعها في مكتبة أكاديمية الموسيقى .

ومما يجدر الإشارة إليه أن له كتبًا مازالت تحت الطبع لا يحضرني أسماؤها الآن ، وكان رحمه الله يحرص على كتابة تاريخ حياته ؛ لأن الدكتورة سامحة الخولي أشارت عليه أن يكتبها بنفسه .

لقد كان أخي رحمة الله عليه . يتمتع بكثير من خصال الخير ، ودماثة الخلق ، وكثرة الظرف ، وهذا مما أفقده أنا كثيرًا .

وإنني مازلت حتى الآن أشعر أنه لم يمت ، بل إنه في سفر وسيعود بين لحظة وأخرى ، لأن المصاب جلل ، وشاء قدر الله أن يرحل عنّا فجأة . وإنني لا أمَلُّ من الدعاء إلى الله أن يتغمده برحمته ، بقدر ما نفع الناس وأزال عنهم آلام أمراضهم ، فقد كانت دماثة خلقه أن يعالج المرضى نفسيًا أولا قبل أن يعالجهم عضويًا ، فلم يكن الربح المادي هدفه بقدر ما يكون الربح الإنساني .

وفي ختام كلمتي أجد القلب يتفطر من الحزن ، والعين تبيض من البكاء ، ولكن لا أقول إلا ما يرضي ربنا :

" إنا لله وإنا إليه راجعونْ ".

وأشكركم على واحبكم هذا . أطال الله في عمركم ومدكم بالصحة والعافية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

زينب الروبي